الدُّرَرُ السَّوَاطِعُ

فِي شَرْحِ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْجَوَامِعِ

تَأْلِيفُ:

عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ يَحْيَى الْبُرَعِيّ

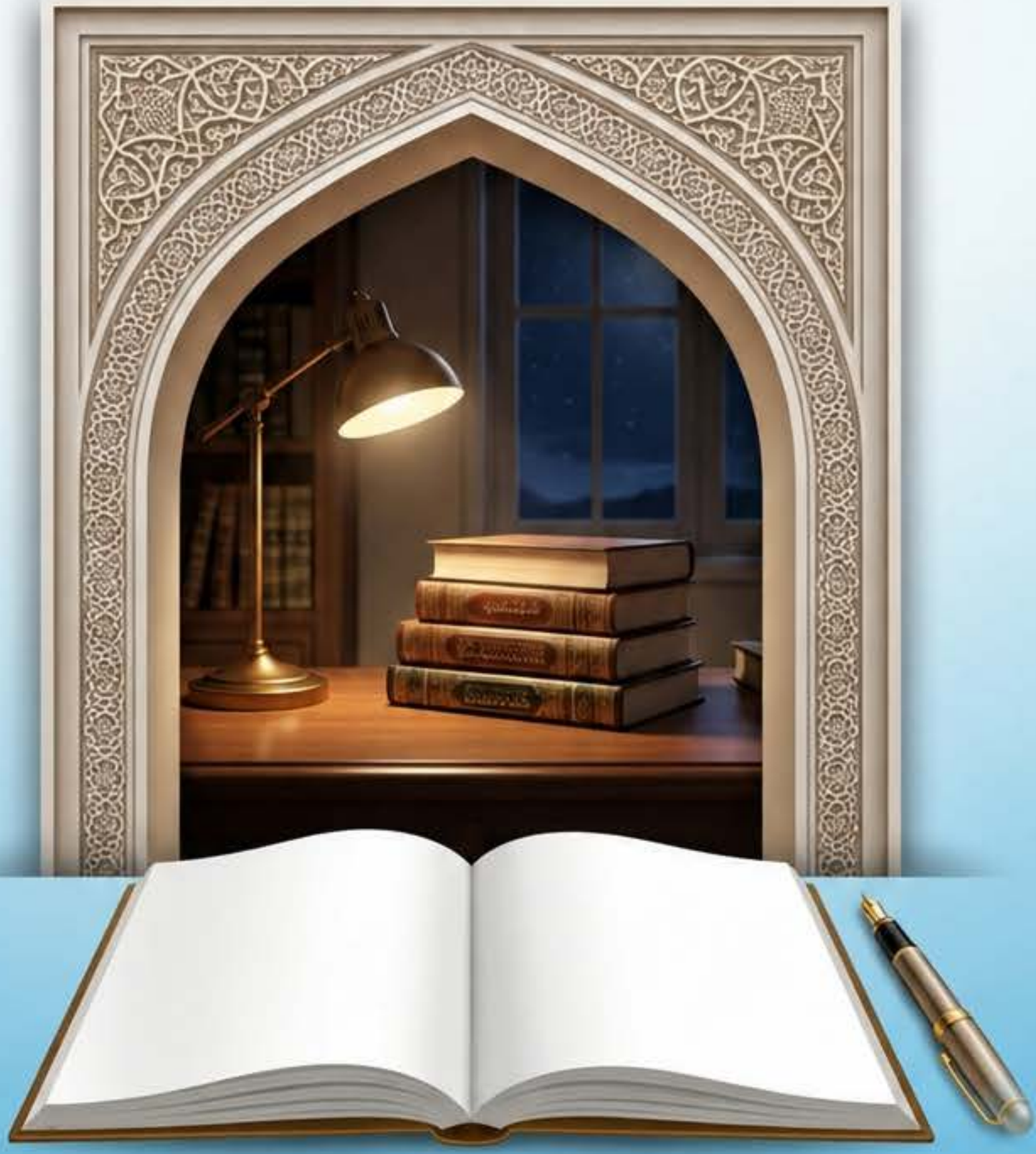

الدرر السواطع

في شرح ما تيسر

من الأحاديث الجوامع

تأليف

عبد العزيز بن يحيى البرعي

حقوق الطبع مباحة لكل مسلم

الطبعة الأولى

١٤٤٨هـ - ٢٠٢٦م

اسم الكتاب:	الدرر السواطع في شرح ما تيسر من الأحاديث الجوامع
المؤلف:	أبو ذر عبد العزيز بن يحيى البرعي
مقاس	١٧ × ٢٤ سم
عدد	(١٩٠) صفحة
الطبعة:	الأولى ١٤٤٨هـ - ٢٠٢٦م

دار الحديث في مفرق حبيش/ إب/ اليمن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، أما بعد: فهذا كتاب:

(الدرر السواطع في شرح ما تيسر من الأحاديث الجوامع)

- ❖ بدأت في كل حديث بترجمة للصحابي،
- ❖ ثم شرحت الحديث شرحًا مبسطًا،
- ❖ مع الحرص على ذكر الآيات المتعلقة بمعنى الحديث،
- ❖ وذكر ما تيسر من الأحاديث الصحيحة في الباب،

وهذا تسهيل لطلبة العلم؛ لا سيما البعيدون عن أهل العلم ودور الحديث، فيمكن أن يخطب منه مباشرة، أو يحضِّر، أو يقرأ في دروس، أو في المجالس، أو الأسرة في البيت، أو غير ذلك.

أسأل الله أن يجعل فيه الخير والبركة، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل والحمد لله العالمين.

كتبه/ عبد العزيز بن يحيى البرعي

١٤٤٧/١١/١٨

دار الحديث اليمن إب مفرق حبيش

الحديث الأول:
حديث: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا»

[١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا [وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم]، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ**» أخرجه مسلم.

ترجمة أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مختلف في اسمه، فإما أنه اشتهر بكنيته حتىٰ ترك اسمه، أو أن اسمه كنيته.

❖ **قال فيه الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ في سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٨): الإِمَامُ، الفَقِيْهُ، المُجْتَهِدُ، الحَافِظُ، صَاحِبُ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَبُو هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيُّ، اليَمَانِيُّ، سَيِّدُ الحُفَّاظِ الأَثْبَاتِ. أهـ

❖ **ذكر** البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ أن تلامذته ثمانمائة أو أكثر من الصحابة والتابعين.

❖ **عَنْ** مُحَمَّدٍ بن سيرين قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَة وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَشَّقَانِ مِنْ كَتَّانٍ فَتَمَخَّطَ، فَقَالَ: بَخٍ بَخٍ، أَبُو هُرَيْرَةَ يَتَمَخَّطُ فِي الكَتَّانِ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَة مَغْشِيًّا عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الجَائِي فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي، وَيُرَىٰ أَنِّي مَجْنُونٌ، وَمَا بِي مِنْ جُنُون وَمَا بِي إِلاَّ

الجُوعُ. أخرجه البخاري برقم (٧٣٤٢).

❖ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ فِي الطَّرِيقِ:

يَا لَيْلَةً مِنْ طُولِهَا وَعَنَائِهَا ... عَلَى أَنَّهَا مِنْ دَارَةِ الكُفْرِ نَجَّتِ

قَالَ: وَأَبَقَ مِنِّي غُلاَمٌ لِي فِي الطَّرِيقِ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَبَايَعْتُهُ، فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ إِذْ طَلَعَ الغُلاَمُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، هَذَا غُلاَمُكَ قُلْتُ: هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَأَعْتَقْتُهُ.

أخرجه البخاري برقم (٢٥٣١).

❖ عَنْ أَبِي كَثِيرٍ التيمي واسمه يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قال: حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: والله ما خلق الله مؤمنًا يسمع بي إلا أحبني، قلت: وما علمك بذلك؟ قال: إن أمي كانت مشركة، وكُنْتُ أَدْعُوها إِلَى الْإِسْلَامِ وكانت تأبى علي، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**اللهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ**» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ:

يَا رَسُولَ الله أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَىٰ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ادْعُ اللهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَىٰ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**اللهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمِ الْمُؤْمِنِينَ**» فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي. أخرجه مسلم برقم (٢٤٩١).

❖ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ**». أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٠).

❖ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَرَأَيْتَكَ هَذَا الْيَمَانِيَّ - أَوْ قَالَ: الْخِضْرَ: الْيَمَانِيَّ - هُوَ أَعْلَمُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ مِنْكُمْ - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - نَسْمَعُ مِنْهُ أَشْيَاءَ لَا نَسْمَعُهَا مِنْكُمْ؟ فَقَالَ: أَمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ مَا لَمْ نَسْمَعْ فَلَا أَشُكُّ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ ذَلِكَ، «إِنَّا كُنَّا أَهْلَ بُيُوتٍ، وَكُنَّا إِنَّمَا نَأْتِي رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، وَكَانَ مِسْكِينًا لَا مَالَ لَهُ، إِنَّمَا هُوَ عَلَىٰ بَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، فَلَا أَشُكُّ أَنَّهُ قَدْ سَمِعَ مَا لَمْ نَسْمَعْ، وَهَلْ تَجِدُ أَحَدًا فِيهِ خَيْرٌ يَقُولُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ مَا لَمْ يَقُلْ؟» أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده برقم (٦٣٧).

❖ **عن** أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الحَدِيثَ

عَلَىٰ رَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وَاللهُ المَوْعِدُ إِنِّي كُنْتُ امْرَءًا مِسْكِينًا، أَلْزَمُ رَسُولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عَلَىٰ مِلْءِ بَطْنِي، وَكَانَ المُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَكَانَتِ الأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ القِيَامُ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ، فَشَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، وَقَالَ: مَنْ يَبْسُطْ رِدَاءَهُ حَتَّىٰ أَقْضِيَ مَقَالَتِي، ثُمَّ يَقْبِضْهُ، فَلَمْ يَنْسَ شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي فَبَسَطْتُ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَيَّ، فَوَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ. متفق عليه(١).

❖ **قِيْلَ** لابْنِ عُمَرَ: هَلْ تُنْكِرُ مِمَّا يُحَدِّثُ بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ شَيْئاً؟ فَقَالَ: لاَ، وَلَكِنَّهُ اجْتَرَأَ وجَبُنَّا فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمَا ذَنْبِي إِنْ كُنْتُ حَفِظْتُ، وَنَسُوْا.

❖ **قال الذهبي** في السير (٢/ ٦١٤): كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ طَيِّبَ الأَخْلاَقِ.

❖ ذكر الذهبي في المرجع السابق (٢/ ٦١٨) عن القَاضِي أَبي الطَّيِّبِ قال: كُنَّا فِي مَجْلِسِ النَّظَرِ بِجَامِعِ المَنْصُوْرِ، فَجَاءَ شَابٌّ خُرَاسَانِيٌّ، فَسَأَلَ عَنْ مَسْأَلَةِ المُصَرَّاةِ، فَطَالَبَ بِالدَّلِيْلِ، حَتَّىٰ اسْتَدَلَّ بِحَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ الوَارِدِ فِيْهَا، فَقَالَ ـ وَكَانَ حَنَفِيًّا ـ: أَبُو هُرَيْرَةَ غَيْرُ مَقْبُوْلِ الحَدِيْثِ.

فَمَا اسْتَتَمَّ كَلاَمَهُ حَتَّىٰ سَقَطَ عَلَيْهِ حَيَّةٌ عَظِيْمَةٌ مِنْ سَقْفِ الجَامِعِ، فَوَثَبَ النَّاسُ مِنْ أَجْلِهَا، وَهَرَبَ الشَّابُّ مِنْهَا وَهِيَ تَتْبَعُهُ.

فَقِيْلَ لَهُ: تُبْ تُبْ.

فَقَالَ: تُبْتُ.

فَغَابَتِ الحَيَّةُ، فَلَمْ يُرَ لَهَا أَثَرٌ.

قال الذهبي: إِسْنَادُهَا أَئِمَّةٌ.

---

(١) البخاري برقم (٧٣٥٤)، ومسلم برقم (٢٤٩٢).

❖ **قال الذهبي**: وَقَدْ ذَكَرْتُهُ فِي (طَبَقَاتِ القُرَّاءِ)، وَأَنَّهُ قَرَأَ عَلَى أُبَيٍّ بنِ كَعْبٍ. أَخَذَ عَنْهُ: الأَعْرَجُ، وَأَبُو جَعْفَرٍ، وَطَائِفَةٌ. وَذَكَرْتُهُ فِي (تَذْكِرَةِ الحُفَّاظِ)، فَهُوَ رَأْسٌ فِي القُرْآنِ، وَفِي السُّنَّةِ، وَفِي الفِقْهِ... وَفِي (سُنَنِ النَّسَائِيِّ)(١): أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ دَعَا لِنَفْسِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا لَا يُنْسَى. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**آمِيْنَ**»(٢).

✓ له من الحديث (٥٣٧٤) اتفق الشيخان على (٣٢٦)، وانفرد البخاري بـ (٩٣)، ومسلم بـ (٩٨)؛ فيكون مجموع ما في الصحيحين (٥١٧).

✓ أسلم وهاجر في غزوة خيبر سنة سبع.

✓ **له** ولد اسمه محرر، وبنت هي زوجة سعيد بن المسيب.

✓ توفي سنة سبع أو ثمان وخمسين، وعمره ثمان وسبعون سنة.

✓ وعلى هذا فيكون قد ولد قبل الهجرة بعشرين سنة.

✓ وهاجر وهو ابن سبع أو ثمان وعشرين سنة.

❖ **عَنْ** أَبِي مُرَّةَ، مَوْلَى أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ رَكِبَ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَرْضِهِ بِالْعَقِيقِ فَإِذَا دَخَلَ أَرْضَهُ صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: عَلَيْكِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ يَا أُمَّتَاهُ، تَقُولُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، يَقُولُ: رَحِمَكِ اللهُ كَمَا رَبَّيْتِنِي صَغِيرًا، فَتَقُولُ: يَا بُنَيَّ، وَأَنْتَ فَجَزَاكَ اللهُ خَيْرًا وَرَضِيَ عَنْكَ كَمَا بَرَرْتَنِي كَبِيرًا. أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (١٤) وصححه الألباني.

---

(١) «السنن الكبرى للنسائي» (٥/ ٣٧٤) برقم «٥٨٣٩»، وضعفه الألباني، انظر: «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» (٨/ ٣٠٨) برقم «٣٨٤٨».

(٢) «سير أعلام النبلاء ط الرسالة» (٢/ ٦٢٧).

شرح الحديث

قوله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا...».

❖ فيه إثبات صفة الرضا لله،

كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨].

وقال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩، والتوبة:١٠٠، المجادلة:٢٢، البينة: ٨].

وقال: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه:٨٤].

وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه:١٠٩].

وقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦].

إثبات الرضا في السنة

❖ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»**(١).

❖ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ**

(١) «صحيح البخاري» (٨/ ١١٤) برقم «٦٥٤٩»، و«صحيح مسلم» (٤/ ٢١٧٦) برقم «٩».

عَلَيْهَا»[(١)].

❖ وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»[(٢)].

❖ وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ وِتْرِهِ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[(٣)].

قوله ﷺ: «أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا...»،

جمع بين النفي والإثبات الذي يتضمن لا إله إلا الله، فقوله: «**أن تعبدوه**»، إثبات، **وقوله**: «**ولا تشركوا به شيئًا**»، نفي.

وقد بين الله في كتابه أهمية العبادة، وخطر الشرك من عدة جهات، منها:

✓ خلق الله الخلق لعبادته فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

✓ وأمرهم بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

✓ وأرسل الرسل لذلك فقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾

---

(١) «صحيح مسلم» (٤/ ٢٠٩٥) برقم «٨٩».

(٢) «سنن ابن ماجه» (٢/ ١٣٣٨) برقم «٤٠٣١».

(٣) «مسند أحمد» (٢/ ١٤٧ ط الرسالة) برقم «٧٥١».

[الأنبياء:٢٥].

✓ وأنزل القرآن لذلك فقال: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢﴾ [هود:١-٢].

✓ وأمر بالصبر على ذلك فقال: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ﴾ [مريم:٦٥].

❖ وأما خطر الشرك فإن الله ما حذرنا منه غاية التحذير إلا لما فيه من فساد الدنيا والآخرة، وما حذرنا منه إلا لأنه موجود، فكم من قبور مشيدة يدعى المقبورون فيها من دون الله، وكم من أشخاص أحياء وأشجار وأحجار، وأنهار تعلق أناس بها وعبدوها من دون الله، وطلبوا منها ما لا يطلب إلا من الله، تعالى الله عما يصنعون علوًا كبيرًا.

خطر الشرك

وسنذكر بعض الأمور التي يتبين بها خطر الشرك فنقول:

✓ جعل الله الشرك سببًا لدخول نار جهنم فقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

✓ وجعل الله الشرك سببًا لعدم مغفرة الذنوب، وسببًا لتحقق الضلال في صاحبه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

✓ والمشرك جاء بالفرية العظيمة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

✓ والمشرك بالله أظلم الظالمين قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣].

وقال تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾

[الأنعام:١٤٤، الأعراف: ٣٧، يونس: ١٧، الكهف: ١٥].

✓ والمشرك قد ادعى لله شريكًا، وأي كذب أعظم من هذا؟!

❖ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

❖ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

✓ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: «**مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**» أخرجه مسلم برقم (١٨٢).

وجعل **النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **الشرك أول السبع الموبقات**.

✓ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**»، **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ»**[(١)].

✓ وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحوه.

❖ ثم ذكر سبب دمار الأمم ابتداءً من قوم نوح فمن بعدهم،

✓ قال تعالى بعد ذكر عدة أمم: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٠].

✓ وقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:١٧].

---

(١) «صحيح البخاري» (٤/ ١٠) برقم «٢٧٦٦»، و «صحيح مسلم» (١/ ٩٢) برقم «١٤٥».

❖ ثم هو سبب لمن يأتي بعده من الأمم وهم على الشرك؛

فقال تعالى في سورة الفجر بعد ذكر بعض الأمم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر:١٤]، يعني لمن يأتي بعدهم وهو مثلهم.

❖ هذه الآيات والأحاديث فيها بيان خطر الشرك، وأضراره التي لا تحصى، وبيان رحمة الله بخلقه؛ ولهذا حين قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا**»، فهذا من رحمة الله بعباده، ولطفه وإحسانه بهم حيث أنه يرضى لهم ما يكون سببا لسعادتهم، ويكره لهم ما يكون سببًا لشقاوتهم مع أنه غني عنهم قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

ولهذا قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث: «**إن الله يرضى لكم**» فعداها باللام لأن المصلحة راجعة لهم، ولم يقل: «**يرضى منكم**».

❖ والله عَزَّوَجَلَّ لا يتضرر بشرك المشركين، ولا بكفر الكافرين، ولا بمعصية العصاة، ولا ببدع المبتدعة،

قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر:٧].

وقال في حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القدسي: «...**إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ**

قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ» أخرجه مسلم برقم (٦٦٦٤).

فمن أمعن النظر في هذا علم مقدار رحمة الله بعباده ولطفه بهم، وإحسانه إليهم حيث يدعوهم إلى كل خير وينهاهم عن كل ضير ويدعوهم إلى ما ينفعهم وينهاهم عما يضرهم مع استغنائه عنهم وعن عبادتهم، فله الحمد سبحانه.

❖ وقوله ﷺ: «**ولا تشركوا به شيئًا**» نفي يراد به تأكيد الأمر، وإيضاحه.

و«**شيئًا**» نكرة في سياق النهي فيعم الشرك صغيرة وكبيرة، وهذا النهي يشمل الشرك في الدعاء والذبح والنذر والاستغاثة والاستعانة والاستغفار وغير ذلك.

قوله ﷺ: «وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا...».

❖ هذا منتزع من قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣].

(اعتصم): قال ابن فارس: عصم... يدل على إمساك ومنع وملازمة... اعتصم العبد بالله التجأ. أهـ.

فالمراد بالاعتصام التمسك والالتجاء إلى كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

وهذا أمر بالرجوع إلى كتاب الله في الأقوال والأفعال والاعتقادات رجوعًا قويًّا؛ لأن قوله: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٠٣]، أقوى من قوله اعملوا به، وهذا يدل على قوة المنازعين وكثرتهم.

وحبل الله هو القرآن، وقيل: عهد الله، وقيل: غير ذلك، وكلها تعني

الاستمساك بما ينجيك من الضلال، فكل أسباب الانحراف والخلاص منها بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله.

وقوله: «**جميعًا**» أي: أنه للجميع رجالًا ونساءً وحكامًا ومحكومين، وأغنياء وفقراء كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

ويكون معناه أيضًا: واعتصموا بحبل الله جميعًا، أي: مجتمعين غير مفترقين؛ ولهذا قال بعدها: ولا تفرقوا، والله أمر بالاجتماع، ونهى عن الافتراق فقال: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المؤمنون:٥٢].

❖ ومدلول آية آل عمران، وحديث أبي هريرة هذا يشير إلى ما تضمنه حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا**»، ففيه تزكية للعصر النبوي أنه ليس فيه اختلاف، وفيه ذم الاختلاف، وفيه أن طريقة التخلص من الاختلاف في قوله ﷺ: «**فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**».

✓ وكثير من الجاهلين يعتبر هذا تشددًا مذمومًا، وليس كذلك، بل هذا فهم خاطئ، بل التشدد البدع بجميع أشكالها؛ لأنه كلفك ما لم يكلفك الله به من الأقوال والأفعال والاعتقادات، ويلزمك أن تفهم الأدلة على غير ما أراد الله ورسوله، وأن تعمل بأشياء، لا دليل عليها.

✓ والتشدد أيضًا أن تحرم ما لم يحرمه الله، أو أن توجب على نفسك عملًا لم يوجبه الله،

✓ وفي المقابل التساهل هو أن تترك ما أوجب الله عليك، وأن ترتكب ما

نهاك الله عنه، والتوسط بين ذلك، وهو العمل بشرع الله فعلًا للطاعة، وتركًا للمعصية، ثم اشدد يديك على ذلك بعد ترك التشدد، والتساهل،

✓ وهنا يأتي دور الآية: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣].

ودور حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**».

الاختلاف المذموم

❖ **قال القرطبي** رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير أية آل عمران (٥/ ٢٤١): وليس فيه دليل على تحريم الاختلاف في الفروع؛ فإن ذلك ليس اختلافًا إذ الاختلاف ما يتعذر معه الائتلاف والجمع، وأما حكم مسائل الاجتهاد فإن الاختلاف فيها بسبب استخراج الفرائض ودقائق معاني الشرع؛ وما زالت الصحابة يختلفون في أحكام الحوادث، وهم مع ذلك متآلفون. أهـ

✓ والاختلاف المخرج من الاعتصام بحبل الله يشمل الخلاف الذي يؤدي إلى القتال أو العقوق، أو قطيعة الأرحام، أو سوء الجوار، أو الرشوة، أو شهادة الزور، وما شابه ذلك، فلو أرجع كل إنسان نفسه إلى كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأراح المسلمين من شره، وهكذا الاختلاف في الدين كما سيأتي.

✓ وقد ذكر الله أن الاختلاف مباين لرحمة الله فقال: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ [هود:١١٨-١١٩].

✓ وجعل الاجتماع بعد الاختلاف نعمة فقال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ

ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٣].

✓ وذكر الله أن المال لا يؤلف بين الناس فقال: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣﴾ [الأنفال:٦٢-٦٣].

✓ وشر التفرق ما كان في الدين.

❖ وجاء في الحديث أن عاقبة التفرق في الدين النار كما جاء عن غير واحد من الصحابة بألفاظ متقاربة، وأجمعها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ**» ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**الْجَمَاعَةُ**». صححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة برقم (١٤٩٢)، وفي لفظ آخر: «**هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**».

✓ ولا فرق بين اللفظين فالجماعة هم جماعة المسلمين، وأفضلهم، وأجلُّهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وصحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فاختلاف اللفظين من الرواية بالمعنى، فمن أراد أن يكون مع جماعة المسلمين؛ فليكن على ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

❖ وبرأ الله نبيه من الاختلاف الذي كان عليه اليهود والنصارى والمشركون فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام:١٥٩].

أي: لست منهم في قليل ولا كثير، ولا توافقهم على ما هم عليه، ولا تحدث

فُرقة على غرار ما كانوا عليه.

✓ **قال ابن كثير** في تفسير الآية (١٥٩) من سورة الأنعام بعد أن ذكر الاختلاف في تحديد من هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ فَارَقَ دِينَ اللهَّ وَكَانَ مُخَالِفًا لَهُ، فَإِنَّ اللهَّ بَعَثَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَشَرْعُهُ وَاحِدٌ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا افْتِرَاقَ، فَمَنِ اخْتَلَفَ فِيهِ ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ أَيْ: فِرَقًا كَأَهْلِ الْمِلَلِ وَالنِّحَلِ -وَهِيَ الْأَهْوَاءُ وَالضَّلَالَاتُ -فَاللهُّ قَدْ بَرَّأَ رَسُولَهُ مِمَّا هُمْ فِيهِ. وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورىٰ:١٣]. وَفِي الْحَدِيثِ: «**نَحْنُ مُعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عَلات، دِينُنَا وَاحِدٌ**». فَهَذَا هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، مِنْ عِبَادَةِ اللهَّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالتَّمَسُّكِ بِشَرِيعَةِ الرَّسُولِ الْمُتَأَخِّرِ، وَمَا خَالَفَ ذَلِكَ فَضَلَالَاتٌ وَجَهَالَاتٌ وَآرَاءٌ وَأَهْوَاءٌ، الرُّسُلُ بُرَآء مِنْهَا، كَمَا قَالَ: ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾. أهـ.

✓ **وقال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣]. فأوجب تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقادًا وعملًا؛ وذلك سبب اتفاق الكلمة وانتظام الشتات الذي يتم به مصالح الدنيا والدين، والسلامة من الاختلاف، وأمر بالاجتماع ونهى عن

الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين. هذا معنىٰ الآية علىٰ التمام. انتهىٰ.

قوله ﷺ: «وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم».

❖ هذه الجملة سقطت من بعض نسخ مسلم القديمة، وكأن النسخة التي بيد النووي ليس فيها هذه الجملة، ولم يذكرها النووي في رياض الصالحين، وكأن النسخة التي عند السيوطي من صحيح مسلم مذكور فيها هذه الجملة؛ لأنه ذكره في الجامع الصغير وفيه هذه الجملة وعزاه إلىٰ مسلم، وهي عند أحمد وأبي عوانة من طريق سهيل به كما عند مسلم.

❖ نصيحته ناتجة عن النصيحة له المذكورة في حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**» أخرجه مسلم برقم (١٠٦).

✓ فأئمة المسلمين هم ولاة الأمر الذين أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بنصيحتهم، فالنصيحة لهم عناية القلب بهم، ونصيحتهم دلالتهم إلىٰ ما ينفعهم وتحذيرهم عما يضرهم، وعلىٰ هذا فلا ننسىٰ معاصي الحكام، ولا نشهر بهم من فوق المنابر، بل ننصحهم، ولو بإرسال النصيحة مع جلسائهم الناصحين، والتشهير من فوق المنابر أمرٌ يُعجب الجهال وأهل البدع، ولا يأتي بنتيجة حسنة، بل يجعل الحاكم يدخل مرحلة العناد والتحدي.

✓ ولقد أحسن الشافعي حيث يقول:

تعاهدني بنصحك بانفرادي ... وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع ... من التوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيت قولي ... فلا تأسف إذا لم تعط طاعة

✓ وقد جاء عن غير واحدٍ من الصحابة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**».

❖ وإذا أمعنت النظر في معنىٰ الحديث وألفاظه تبين لك صحة ما عليه معتقد أهل السنة والجماعة في سرية النصح للحاكم وعدم التشهير به حيث قال في الحديث:

✓ «**كَلِمَةُ حَقٍّ**»، ولم يقل خطبة من علىٰ المنابر ولا محاضرة.

✓ «**عِنْدَ سُلْطَانٍ**»، ولم يقل في السوق، ولا في المجالس، ولا في المنشورات الورقية، ولا المنشورات عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ولا غير ذلك.

✓ وقال: «**كَلِمَةُ**»، ولم يقل سيف، ولا بندقية، ولا تجييش الناس، ولا تحزبيهم ضد الحاكم، ولا ما شابه ذلك.

ومن هنا يظهر لك بُعْدُ الطوائف المنحرفة عن معنىٰ الحديث، مع استدلالهم به كثيرًا!

ثم إذا قلت (الكلمة **عند السلطان الجائر**) **فقد** برأت ذمتك، وأديت ما عليك، فإن قبل فلك وله، وإن لم يقبل فلك وعليه.

ألا ترىٰ أنه لم يقل فإن لم يقبل فاخرج عليه.

قوله ﷺ: «وكره لكم قيل وقال».

❖ قد تكون الكراهة كراهة تحريم، أو تنزيه حسب حال القيل والقال فإن كان مجرد كثرة كلام يضيع به الوقت فهو مكروه كراهة تنزيه.

✓ ولقد أحسن من قال:

لقاء الناس ليس يفيد شيئًا ... سوى الهذيان من قيلٍ وقالِ

فأقلل من لقاء الناس إلا ... لأخذ العلم أو إصلاح حالِ

لكن صاحبه على خطر فكثرة الكلام يجر صاحبه من المباح إلى الحرام؛ لأن اللسان لا يقف عند حد. وإن كان الكلام يعود بالضرر على أحد أو كان غيبة أو نميمة فهو حرام.

قوله ﷺ: «وكثرة السؤال»

❖ يحتمل أمورًا:

أ ـ كثرة السؤال عن أخبار الناس فقد يكون في مباح تضيع به الأوقات، أو مع سوء نية بقصد الغيبة والنميمة، أو غيرها.

ب ـ كثرة السؤال عن مسائل علمية على وجه التعنت لا بقصد الفائدة، إنما ليظهر كفاءته في السؤال، ونقص علم المسؤول وهذا محرم، ولو لم يكن كثيرًا.

ج ـ أو بقصد التكلف بالسؤال عن أمور لم تقع.

د ـ أو بالسؤال عن أحوال الناس من الناحية العلمية والأخلاقية، لا للاحتياط لدينه، بل للغمز واللمز بهم، أو الاحتقار والازدراء بهم، أو بقصد الإسقاط لهم وحرق شخصياتهم، وربما أضفى على فعله القبيح لقب الجرح والتعديل، وهذا العلم الشريف بعيد عن النوايا السيئة.

هـ- أو بقصد طلب المال، وهذا حرام إلا لمن حلت له المسألة.

✓ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مِزْعَةُ لَحْمٍ**» متفق عليه.

✓ عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَمَسْأَلَتُهُ فِي وَجْهِهِ خُمُوشٌ، أَوْ خُدُوشٌ، أَوْ كُدُوحٌ**»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْغِنَى؟ قَالَ: «**خَمْسُونَ دِرْهَمًا، أَوْ قِيمَتُهَا مِنَ الذَّهَبِ**» أخرجه أحمد والأربعة.

✓ وعن قبيصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ رَجُلٍ، تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا**» أخرجه مسلم.

معنى إضاعة المال

قوله ﷺ: «وإضاعة المال».

❖ المال يتعلق به مصالح للعبد منها النفقة على العيال، ومنها صلة الأرحام، ومنها الصدقة، ومنها إقراض المعسر، وفي ذلك أجور عظيمة، ومنها أن يتاجر في الزائد على حاجته، ويشتري به عقارًا، وغيره ليخلف لأولاده ما يقوم بهم بعد موته، وغير ذلك.

✓ فلهذا نهى عن إضاعة المال، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء:٥].

✓ والمراد بالسفهاء النساء والصبيان، وسموا سفهاء لانعدام بصيرتهم في تدبير شؤون أنفسهم المالية وغيرها، ويلحق بهم الرجل الذي ظهر عليه عدم البصيرة، وهو السفه.

❖ **وإضاعة المال تدخل في أمور كثيرة:**

أ ـ الإسراف، وهو التوسع في المطاعم والمشارب والملابس وغيرها حتى يتجاوز الحد، ويصبح إنفاقه غالبًا في الكماليات لا في الضروريات فقط، بل ولا في الأمور المهمة فقط،

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧].

وقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء:٢٩].

﴿مَلُومًا﴾ أي: على إسرافك بمالك،

﴿مَّحْسُورًا﴾ بسبب البخل فترى مالك أمامك ولا تستفيد منه، فذم الله

الأمرين: التبذير، والبخل.

والمراد بالتبذير الإنفاق في غير حاجة، فالذي يشتري من الملابس أغلاها فوق مستواه فهو المسرف، وإن تخلص منها قبل أن تبلى فهو المبذر، إلا أن يتصدق بها فليس ذلك من التبذير.

✓ عَنْ خَوْلَةَ الأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ**» أخرجه البخاري برقم (٣١١٨).

ب - ومن إضاعة المال إنفاقه في أكل القات، فإنه يجمع بين إضاعة المال والدين والبدن، وقد انتشر بين آكلي القات ترك الصلوات، وضياع الأوقات، وغير ذلك، وضياع الأهل والأولاد وعدم المبالاة بحقوقهم.

✓ وهكذا إذا بذل المال في شراء التلفاز والدش التي أفسدت المجتمعات، ودمرت الأخلاق... إلخ.

وباختصار فكل شيء يبذل فيه المال فيما لم يأذن به الله فهو من إضاعة المال.

الحديث الثاني:

حديث: « عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير »

[٢] عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**» أخرجه مسلم برقم (٧٦١٠).

ترجمة صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

❖ **قال الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ في السير (٢/ ١٧): صُهَيْبُ بنُ سِنَانٍ أَبُو يَحْيَى النَّمِرِيّ مِنَ النَّمِرِ بنِ قَاسِطٍ. وَيُعْرَفُ بِالرُّوْمِيِّ؛ لأَنَّهُ أَقَامَ فِي الرُّوْمِ مُدَّةً. وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَزِيْرَةِ، سُبِيَ مِنْ قَرْيَةِ نِيْنَوَى، مِنْ أَعْمَالِ المَوْصِلِ. وَقَدْ كَانَ أَبُوْهُ أَوْ عَمُّهُ عَامِلًا لِكِسْرَى، ثُمَّ إِنَّهُ جُلِبَ إِلَى مَكَّةَ، فَاشْتَرَاهُ عَبْدُ الله بنُ جُدْعَانَ القُرَشِيُّ التَّيْمِيُّ... وكَانَ مِنْ كِبَارِ السَّابِقِيْنَ البَدْرِيِّيْنَ.

❖ **وقال**: روى عنه بَنُوْهُ الثَّمَانِيَةُ: عُثْمَانُ، وَصَيْفِيٌّ، وَحَمْزَةُ، وَسَعْدٌ، وَعَبَّادٌ، وَحَبِيْبٌ، وَصَالِحٌ، وَمُحَمَّدٌ.

❖ كان من كبار السابقين إلى الإسلام، ومن المستضعفين، وكان مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قديمًا في دار الأرقم، وكان من النفر الذين عذبتهم قريش، وهم خباب، وبلال، وعمار، وأمه، وأبوه، وابن مسعود وغيرهم.

❖ وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ

وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ [الأنعام:٥٢-٥٣].

❖ وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

❖ قال **ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ: اجْلِسْ مَعَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ وَيُهَلِّلُونَهُ، وَيَحْمَدُونَهُ وَيُسَبِّحُونَهُ وَيَكْبُرُونَهُ، وَيَسْأَلُونَهُ بُكْرَةً وَعَشِيًّا مِنْ عِبَادِ اللهِ، سَوَاءً كَانُوا فُقَرَاءَ أَوْ أَغْنِيَاءَ أَوْ أَقْوِيَاءَ أَوْ ضُعَفَاءَ. يُقَالُ: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، حِينَ طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَجْلِسَ مَعَهُمْ وَحْدَهُ وَلَا يُجَالِسَهُمْ بِضُعَفَاءِ أَصْحَابِهِ كَبِلَالٍ وَعَمَّارٍ وَصُهَيْبٍ [وَخَبَّابٍ] وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَلْيُفْرِدْ أُولَئِكَ بِمَجْلِسٍ عَلَى حِدَةٍ. فَنَهَاهُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٢]. وَأَمَرَهُ أَنْ يُصَبِّرَ نَفْسَهُ فِي الْجُلُوسِ مَعَ هَؤُلَاءِ، فَقَالَ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف:٢٨]... وعَنْ سَعْد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا! قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ نَسِيتُ اسْمَيْهِمَا فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ أخرجه مُسْلِمٌ.

❖ وقال تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾ [الأحقاف:١١]

❖ قال **ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالُوا عَنِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقُرْآنِ: لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ خَيْرًا مَا سَبَقَنَا هَؤُلَاءِ إِلَيْهِ. يَعْنُونَ بِلَالًا وَعَمَّارًا وصُهَيبًا وَخَبَّابًا وَأَشْبَاهَهُمْ وَأَقْرَانَهُمْ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَجَاهَةً وَلَهُ بِهِمْ عِنَايَةً. وَقَدْ غَلِطُوا فِي ذَلِكَ غَلَطًا فَاحِشًا، وَأَخْطَئُوا خَطَأً بَيِّنًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣]، أَيْ: يَتَعَجَّبُونَ: كَيْفَ اهْتَدَى هَؤُلَاءِ دُونَنَا؛ وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾ وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَيَقُولُونَ فِي كُلِّ فِعْلٍ وَقَوْلٍ لَمْ يَثْبُتْ عَنِ الصَّحَابَةِ: هُوَ بِدْعَةٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ خَيْرًا لسبقونا إليه، لأنهم لَمْ يَتْرُكُوا خَصْلَةً مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ إِلَّا وَقَدْ بَادَرُوا إِلَيْهَا. أهـ.

❖ وهذا الذي جرىٰ من مشركي مكة قد حصل مثله من قوم نوح،

✓ قال تعالى في سورة هود: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ٣٥ * وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ٣٩ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرِىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۖ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣ * مَثَلُ

ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ﴾ [هود:٢٥-٣١].

✓ وقال في سورة الشعراء: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا﴾ [الشعراء:١١١-١١٥].

❖ وقوله في الآيات التي في سورة هود عن قوم نوح: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾ [هود:٢٧]. كقول قريش: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾ [الأنعام:٥٣]. وكقولهم في سورة الأحقاف: ﴿لَّوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾.

❖ كان صهيب عربيًا ولكنه حين عاش في الروم كان في لسانه لُكْنَةٌ

✓ فسمعه عمر بن الخطاب، وهو يقول: يا ناس، فقال عمر: ما له يدعو الناس!، قالوا: إنما يدعو غلامًا له اسمه يحنس، أي: أنه كان يقول: يهنس فأبدل الحاء هاءً، وناداه بغير حرف النداء.

✓ وأنكر عليه عمر أنه لا يمسك المال فقال: هل تراني أنفق إلا في الحق، وذلك أن صهيبًا كان كريمًا.

❖ جاء عن صهيب أنه قال: صحبت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قبل أن يوحىٰ إليه.

❖ توفي صهيب بالمدينة سنة ثمان وثلاثين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وقيل عاش أربعًا وثمانين سنة.

❖ له نحو ثلاثين حديثًا، روىٰ له مسلم ثلاثة أحاديث ولم يخرج له البخاري شيئًا.

❖ شهد صهيب مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كل الغزوات.

شرح الحديث

الناس أمام ما يصيبهم من أقدار الله أربعة

❖ الناس أمام ما يصيبهم من أقدار الله من خير وشر على أربعة أقسام:

١) الذين لا يرجعون إلى الله عند الضراء، ولا عند السراء، وهم أسوأ الثلاثة.

٢) الذين يرجعون إلى الله عند الشدائد والضراء، ويعصونه عند السراء.

٣) عكسه، الذين يرجعون إلى الله عند السراء، ويعصونه عند الضراء.

٤) المؤمنون المذكورون في حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهم الذين يشكرون عند النعماء، ويصبرون عند الضراء.

❖ وقد ذكر الله الأصناف الأربعة في كتابه.

أما الأول:

✓ فيقول الله عَزَّوَجَلَّ عنه في سورة الأنعام: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤ * إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ﴾ [الأنعام:٤٢-٤٥].

قوله: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ أي: هذا الذي كان ينبغي أن يفعلوا، وذلك بأن يتضرعوا ويرجعوا إلى الله وينيبوا إليه حتى نزل بهم بأس الله، لكن حصل العكس، قال: ﴿وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ أي: عن قبول الحق، وازدادوا طغيانًا وكفرًا حين قست قلوبهم.

ـ وقوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: أعجبوا بما كانوا عليه من الكفر بالله.

ثم قال: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الأنعام:٤٤].

فجعل ما فتح به عليهم من الخيرات استدراجًا حين كذبوا ما جاءت به الرسل، فالجاهل يظنه إكرامًا وليس بإكرام.

✓ وقال في سورة هود: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ۝٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ۝١٠﴾ [هود:٩-١٠]

فما عرف حق الله عند السراء، ولا عند الضراء.

✓ وقال في سورة المؤمنون: ﴿وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٧٥ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦﴾ [المؤمنون:٧٥-٧٦].

✓ وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ۝٩٤ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٩٥﴾ [الأعراف:٩٤-٩٥].

معنى قوله: ﴿عَفَواْ﴾ أي: كثروا فكانت البأساء والضراء عبرة لهم لعلهم يرجعون إلى الله ويتوبون وينيبون إليه، وكانت السراء، وكثرة الأموال وكثرة أعدادهم استدراجًا لهم لكن الذي جرى أنهم قالوا: ﴿قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾، يعنون أن هذا شأن الدنيا أنها تتقلب ما بين سراء وضراء، ولم ينظروا إلى أن الله فعل ذلك لحكمة فعند ذلك استوجبوا العذاب، ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

ـ وقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ ...﴾ أي: أن هذا داء الأمم جميعًا ومصدره الكبرياء والغرور والغفلة والإعراض، وستجد هذا مستمرًا في كثير من الكفار،

وبعض عصاة المسلمين إلى يوم القيامة، تمر عليهم العظات والعبر التي يذل لها الجبابرة ومع ذلك يقابلونها بغفلة البهائم، قال تعالى:﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

أما الفريق الثاني: الذين يرجعون إلى الله عند الشدائد والضراء، ويعصونه عند السراء،

✓ فقد قال الله تعالى عنهم في سورة الأنعام: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام:٦٣-٦٤].

✓ وقال تعالى في سورة يونس: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [يونس:١٢]، أي: أنه في حال الضر كأنه من عباد الله الصالحين الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، وحين كشف الله الضر ترك ذلك كله.

✓ وقال في سورة يونس أيضًا: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس:٢١-٢٣].

✓ وقال في سورة الإسراء: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء:٦٧].

✓ وهذا كما جرىٰ لعكرمة بن أبي جهل ـ إن صح الحديث ـ كما في حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند النسائي برقم (٤٠٦٧) قال: «... وَأَمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ الْبَحْرَ، فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ، فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ: أَخْلِصُوا، فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لَا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَاهُنَا. فَقَالَ عِكْرِمَةُ: وَاللهِ لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِي مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا الْإِخْلَاصُ، لَا يُنَجِّينِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا، إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِيَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ، فَلَأَجِدَنَّهُ عَفُوًّا كَرِيمًا، فَجَاءَ فَأَسْلَمَ...».

✓ وقال في سورة الروم: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم:٣٣].

هذا حال كثير من المسلمين فضلًا عن الكافرين فترىٰ الرجل ينيب إلىٰ الله إذا حصل عليه ضرر، إما حادث سيارة أو مرض عضال أو حريق أو غير ذلك تذكر ذنوبه وتقصيره وظهر عليه الخير، ورأيته يسأل أهل العلم عن كيفية صلاته ووضوئه أو تيممه إن كان عاجزًا عن الوضوء وغير ذلك فإذا رفع الله عنه الضر رجع المشرك إلىٰ شركه والعاصي إلىٰ عصيانه.

نسأل الله السلامة والعفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

✓ وقال في سورة لقمان: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان:٣٢].

أي: انقسم الناس بعد أن نجاهم الله إلىٰ فريقين:

مسلمون متوسطون في العمل يطيعون الله تارة ويعصونه أخرىٰ، فكان ينبغي

لمن نجاه الله أن يكون على أكمل حال في الصلاح والتقى.

❖ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَالْمُقْتَصِدُ هَاهُنَا هُوَ: الْمُتَوَسِّطُ فِي الْعَمَلِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا هُنَا أَيْضًا، وَيَكُونُ مِنْ بَابِ الْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ شَاهَدَ تِلْكَ الْأَهْوَالَ وَالْأُمُورَ الْعِظَامَ وَالْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ بَعْدَمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَلَاصِ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَابِلَ ذَلِكَ بِالْعَمَلِ التَّامِّ، وَالدَّؤُوبِ فِي الْعِبَادَةِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى الْخَيْرَاتِ؛ فَمَنِ اقْتَصَدَ بَعْدَ ذَلِكَ كَانَ مُقَصِّرًا وَالْحَالَةُ هَذِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. أهـ

❖ **وقال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ﴾ انقسموا فريقين:

✓ فرقة مقتصدة، أي: لم تقم بشكر الله على وجه الكمال، بل هم مذنبون ظالمون لأنفسهم.

✓ وفرقة كافرة بنعمة الله، جاحدة لها، ولهذا قال: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾ أي غدار، ومن غدره، أنه عاهد ربه، لئن أنجيتنا من البحر وشدته، لنكونن من الشاكرين، فغدر ولم يف بذلك، ﴿كَفُورٖ﴾ بنعم الله.

فهل يليق بمن نجاهم الله من هذه الشدة، إلا القيام التام بشكر نعم الله؟ انتهى.

✓ وقال في سورة الزمر: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:٨].

✓ وقال في سورة فصلت: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَـٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾ [فصلت:٥١].

الفريق الثالث: من يطيع الله في السراء ويعصيه في الضراء،

✓ قال الله في سورة الحج: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج:١١].

الفريق الرابع: الذين يرجعون إلى الله عند السراء والضراء وهم المؤمنون الصابرون الشاكرون.

✓ وقد ذكرهم الله في سورة هود فقال: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠﴾ [هود:٩-١٠]. ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [هود:١١].

وهم المقصودون في حديث صهيب الذي نحن بصدده: «**عجبًا لأمر المؤمن...**» إلخ.

أي: أنهم صبروا عند الشدائد وعملوا الصالحات عند الرخاء، فكافأهم الله بالمغفرة والأجر الكبير.

✓ وقال الله عن صبرهم وشكرهم: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ [لقمان:٣١].

أي: أن الفلك تقف على الماء، وتحركها الرياح، ويحمل عليها الأثقال العظيمة من بلد إلى بلد مع ما يحصل لها من التعرض للمخاطر بسبب شدة الرياح والأمواج ومع ذلك يحفظها الله حتى تصل إلى نهاية رحلتها، ولا يعرف هذه الآيات والنعم إلا كل صبار شكور، صبار على الشدائد، شكور على النعماء بخلاف من ذكر بعد ذلك في قوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ

ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾ [لقمان:٣٢]، الذين يظهر عليهم الجزع عند الشدائد وعدم الشكر عند الرخاء.

✓ وقال: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٣٢ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ٣٣﴾ [الشورى:٣٢-٣٣].

❖ ذكر الله في هذه الآية أن الفلك في البحر على ثلاثة أحوال:

١) إما أن يعطيها ريحًا على قدر حاجتها فهي تجري في البحر بنعمة الله.

٢) أن يمسك عنها الريح فتبقى واقفة كما قال: ﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ [الشورى:٣٣].

٣) أن يسلط عليها ريحًا عاتية فتغير مسارها ويهلكها، وهو قوله: ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ﴾ [الشورى:٣٤]، ففي هذا آية لأهل الصبر والشكر.

✓ ووجه صبره وشكره أنه رأى في البحر من الشدائد التي قدرها الله شيئًا عظيمًا، فصبر وانتظر الفرج من الله، ورأى من نعم الله بعد ذلك من التيسير وتسخير الرياح شيئًا كثيرًا فشكر الله على ذلك، ولا يتحقق الجمع بين الشكر والصبر إلا عند المؤمن.

فالمؤمن صبار شكور، ومن لم يشكر عند النعم لا يصبر عند النقم.

✓ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ [إبراهيم:٥].

والإشارة في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ إلى إخراجهم من الظلمات إلى النور. ويظهر أنه قد كان كثر فيهم الجهل فأقرب نبي قبل موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، نبي الله يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، كما قال مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ

بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ } [غافر:٣٤].

ولا شك أن هذه آية عظيمة ونعمة تستحق الشكر.

والإشارة الثانية إلى تذكيرهم بآيات الله، وهو ما مر من الآيات والعبر في نجاة عباد الله المؤمنين، وهلاك أعدائهم فما حصل للأنبياء وأتباعهم من أذية قومهم أمور عظيمة تقتضي الصبر، وما حصل من إهلاك أعداء الرسل، وأعداء المؤمنين وما حصل من النجاة للأنبياء والمؤمنين شيء عظيم يقتضي الشكر.

وفيه لفت أنظارهم إلى أن معهم مثال حصل لهم من ظلم فرعون حيث قتل أولادهم واستضعفهم رجالًا ونساءً فهذا بلاء عظيم يقتضي الصبر، ثم ما حصل لهم من النعمة العظيمة حيث نجاهم الله من فرعون وأصبحوا يعيشون في أمان ورغد من العيش أمر عظيم يتضي الشكر، ولا يتحقق هذا وهذا إلا عند من كان صبارًا شكورًا.

✓ وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ١٨ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩﴾ [سبأ:١٥-١٩].

كانوا في رغد من العيش في الحدائق الغناء والقرىٰ المتقاربة، لا يريد أن يقيل في قرية إلا قال، ولا أن يبيت في قرية إلا بات قبل أن تتحول إلىٰ ما يسمىٰ بالربع الخالي، ولكنهم عصوا كما قال الله ﴿فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ﴾ [سبأ:١٦].

فكان الواجب عليهم الشكر علىٰ النعم والصبر عن الوقوع في المعاصي ثم بعد ذلك كان عليهم أن يصبروا علىٰ ما أصابهم من السد ويلملموا أنفسهم في بلادهم بعد التفرق في البلدان فمن نظر إلىٰ حالهم اعتبر فشكر الله علىٰ نعمه، وصبر علىٰ قدره، وصبر عن اقتراف المعاصي.

❖ وأحسن من تكلم علىٰ ذلك ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير هذه الآيات من سورة سبأ[(١)] فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جُمِعَ «الْآيَاتُ» لِأَنَّ فِي تِلْكَ الْقِصَّةِ عِدَّةُ آيَاتٍ وَعِبَرٍ:

✓ فَحَالَةُ مَسَاكِنِهِمْ آيَةٌ عَلَىٰ قُدْرَةِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ وَإِنْعَامِهِ.

✓ وَفِيهِ آيَةٌ عَلَىٰ أَنَّهُ الْوَاحِدُ بِالتَّصَرُّفِ، وَفِي إِرْسَالِ سيل العرم عَلَيْهِم آيَةٌ علىٰ انْفِرَاده تَعَالَىٰ بِالتَّصَرُّفِ، وَعَلَىٰ أَنَّهُ الْمُنْتَقِمُ وَعَلَىٰ أَنَّهُ وَاحِدٌ، فَلِذَلِكَ عَاقَبَهُمْ عَلَىٰ الشِّرْكِ.

✓ وَفِي انْعِكَاسِ حَالِهِمْ مِنَ الرَّفَاهَةِ إِلَىٰ الشَّظَفِ آيَةٌ عَلَىٰ تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ وَتَغَيُّرِ الْعَالَمِ.

✓ وَآيَةٌ علىٰ صِفَات الْأَفْعَال للهِ تَعَالَىٰ مِنْ خَلْقٍ وَرِزْقٍ وَإِحْيَاءٍ وَإِمَاتَةٍ.

✓ وَفِي ذَلِكَ آيَةٌ مِنْ عَدَمِ الِاطْمِئْنَانِ لِدَوَامِ حَالٍ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

✓ وَفِيمَا كَانَ مِنْ عُمْرَانِ إِقْلِيمِهِمْ وَاتِّسَاعِ قُرَاهُمْ إِلَىٰ بِلَادِ الشَّامِ آيَةٌ عَلَىٰ مَبْلَغِ

(١) «التحرير والتنوير» (٢٢/ ١٨٠).

الْعُمْرَانِ وَعِظَمِ السُّلْطَانِ مِنْ آيَاتِ التَّصَرُّفَاتِ.

✓ وَآيَةٌ عَلَى أَنَّ الْأَمْنَ أَسَاسُ الْعُمْرَانِ.

✓ وَفِي تَمَنِّيهِمْ زَوَالَ ذَلِكَ آيَةٌ عَلَى مَا قَدْ تَبْلُغُهُ الْعُقُولُ مِنَ الِانْحِطَاطِ الْمُفْضِي إِلَى اخْتِلَالِ أُمُورِ الْأُمَّةِ وَذَهَابِ عَظَمَتِهَا.

✓ وَفِيمَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنَ النُّزُوحِ عَنِ الْأَوْطَانِ وَالتَّشَتُّتِ فِي الْأَرْضِ آيَةٌ على مَا يلجىء الِاضْطِرَارُ إِلَيْهِ النَّاسَ مِنِ ارْتِكَابِ الْأَخْطَارِ. اهـ

❖ قال **الشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح رياض الصالحين في باب الصبر: المؤمن على كل حال ما قدر الله له فهو خير له،

✓ إن أصابته الضراء صبر على أقدار الله، وانتظر الفرج من الله، واحتسب الأجر على الله؛ فكان ذلك خيراً له، فنال بهذا أجر الصابرين.

✓ وإن أصابته سراء من نعمة دينية؛ كالعلم والعمل الصالح، ونعمة دنيوية؛ كالمال والبنين والأهل شكر الله، وذلك بالقيام بطاعة الله.

لأن الشكر ليس مجرد قول الإنسان أشكر الله، بل هو القيام بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

فيشكر الله فيكون خيرا له، ويكون عليه نعمتان: نعمة الدين، ونعمة الدنيا. نعمة الدنيا بالسراء، ونعمة الدين بالشكر. أهـ

❖ وهذا بخلاف غير المؤمن فإن النعم والنقم وبال عليه؛ لأنه لا يتعامل مع النعم بالشكر، ولا مع المصائب بالصبر.

✓ وفي هذا فضل الإيمان وأهميته في حياة العبد، فبالإيمان يصلح حال الدنيا والآخرة.

✓ والخير الذي ذكر في حديث البراء سببه الإيمان فعلى المؤمن أن يسعى في

تقوية إيمانه، وذلك بحب الله وتوحيده وحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والتعرف على أخلاقه وأعماله وعبادته وحب الصالحين ابتداء بأنبياء الله والصالحين من أتباعهم لا سيما صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الذين هم صفوة هذه الأمة، وهكذا كل صالح إلى قيام الساعة، ويتضمن ذلك بغض كل من عصى الله.

✓ ويُقَوِّي العبد إيمانه بالأعمال الصالحة فرضًا ونافلة سواء كانت قلبية، أو فعلية، أو قولية كما جاء في الحديث القدسي[1]: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**».

✓ وهكذا يُقَوِّي إيمانه بالتفكر في مخلوقات الله الجوية والبحرية والبرية والجمادات، وغير ذلك من مقويات الإيمان، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

(١) «صحيح البخاري» برقم «٦٥٠٢» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحديث الثالث:

حديث: « من سن في الإسلام سنة حسنة »

[٣]عن أبي عمرو جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء:١]، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحشر:١٨]، «**تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ** - حَتَّى قَالَ - **وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣١٤).

ترجمة جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

❖ قال **الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ في السير (٢/ ٥٣٠): جَرِيْرُ بنُ عَبْدِ الله بنِ جَابِرِ بنِ مَالِكِ بْنِ نَصْرِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ جُشَمِ بنِ عَوْفٍ، الأَمِيْرُ، النَّبِيْلُ، الجَمِيْلُ، أَبُو عَمْرٍو - وَقِيْلَ: أَبُو عَبْدِ الله - البَجَلِيُّ، القَسْرِيُّ، وَقَسْرٌ: مِنْ قَحْطَانَ، مِنْ أَعْيَانِ الصَّحَابَةِ. أهـ

قال المؤرخون: إن بجيلة تسمىٰ الآن بني مالك، وهي جنوب الطائف.

❖ قال **جرير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا دَنَوْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ أَنَخْتُ رَاحِلَتِي، ثُمَّ حَلَلْتُ عَيْبَتِي، ثُمَّ لَبِسْتُ حُلَّتِي، ثُمَّ دَخَلْتُ، فَإِذَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، فَرَمَانِي النَّاسُ بِالْحَدَقِ، فَقُلْتُ لِجَلِيسِي: يَا عَبْدَ الله، ذَكَرَنِي رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ، ذَكَرَكَ آنِفًا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، فَبَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ إِذْ عَرَضَ لَهُ فِي خُطْبَتِهِ وَقَالَ: «**يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَابِ، أَوْ مِنْ هَذَا الْفَجِّ، مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ، إِلَّا أَنَّ عَلَى وَجْهِهِ مَسْحَةَ مَلَكٍ**» قَالَ جَرِيرٌ: فَحَمِدْتُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ مَا أَبْلَانِي. أخرجه أحمد برقم (١٩١٨٠).

❖ قال **الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ بَدِيْعَ الحُسْنِ، كَامِلَ الجَمَالِ.

❖ عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي. وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لاَ أَثْبُتُ عَلَى الخَيْلِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**» متفق عليه.

❖ عن جَرِير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ لِي رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَلاَ تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الخَلَصَةِ**» وَكَانَ بَيْتًا فِي خَثْعَمَ يُسَمَّىٰ كَعْبَةَ اليَمَانِيَةِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِئَةِ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ، وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ، قَالَ: وَكُنْتُ لاَ أَثْبُتُ عَلَىٰ

الخَيْلِ، فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا**»، فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا فَكَسَرَهَا وَحَرَّقَهَا، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُهُ، فَقَالَ رَسُولُ جَرِيرٍ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْوَفُ أَوْ أَجْرَبُ، قَالَ: فَبَارَكَ فِي أَحْمَسَ، وَرِجَالِهَا، خَمْسَ مَرَّاتٍ. متفق عليه.

✓ ورسولُ جريرٍ هو أبو أرطاة كما في إحدىٰ روايات البخاري برقم (٤٣٥٧)، وليس له ذكر إلا في هذا الحديث.

❖ **عن** جَرِير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى النُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ(١).

✓ **ومن الأمثلة على نصحه:**

١- كان إذا اشترىٰ شيئًا أو باع يقول لصاحبه: اعلم أنما نأخذ منك أحب إلينا مما نعطيك فاختر لنفسك.

٢- اشترىٰ غلامه له فرسًا بثلاثمائة فلما رآه جاء إلى صاحبه فقال: إن فرسك خير من ثلاثمائة فلم يزل يزيده حتىٰ أعطاه ثمانمائة.

٣- روىٰ البخاري برقم (٥٨) عنْ زِيَادِ بْنِ عِلاَقَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ الله يَقُولُ يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: قَامَ فَحَمِدَ اللهَّ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَالوَقَارِ، وَالسَّكِينَةِ، حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمِيرٌ، فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمُ الآنَ ثُمَّ قَالَ: اسْتَعْفُوا لأَمِيرِكُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ العَفْوَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ: أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلاَمِ فَشَرَطَ عَلَيَّ: وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فَبَايَعْتُهُ عَلَىٰ هَذَا، وَرَبِّ هَذَا المَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ.

---

(١) متفق عليه.

❖ وعَنْ جَرِيْرٍ، قَالَ: رَآنِي عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ مُتَجَرِّدًا، فَنَادَانِي: خُذْ رِدَاءكَ، خُذْ رِدَاءكَ. فَأَخَذْتُ رِدَائِي، ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى القَوْمِ، فَقُلْتُ: مَا لَهُ؟ قَالُوا: لَمَّا رَآكَ مُتَجَرِّدًا، قَالَ: مَا أَرَىٰ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ صُوِّرَ صُوْرَةَ هَذَا، إِلَاّ مَا ذُكِرَ مِنْ يُوْسُفَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ(١).

❖ وعن إبراهيم بن جرير أن عمر قال: جرير يوسف هذه الأمة.

❖ قال **ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البداية والنهاية: وَكَانَ ذَا شَكْلٍ عَظِيمٍ، كَانَتْ نَعْلُهُ طُولُهَا ذِرَاعٌ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، وَكَانَ مَعَ هَذَا مِنْ أَغَضِّ النَّاسِ طَرْفًا، وَلِهَذَا رَوَيْنَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظَرِ الْفَجْأَةِ فَقَالَ: «**أَطْرِقْ بَصَرَكَ**». أهـ

❖ **وقال ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإصابة: قدمه عمر في حروب العراق على جميع بجيلة، وكان لهم أثر عظيم في فتح القادسية. أهـ

❖ مات جرير في قرقيسيا، وهي مدينة على نهر الفرات سنة إحدىٰ وخمسين.

❖ **قال الذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السير: وَمُسْنَدُ جَرِيْرٍ نَحْوٌ مِنْ مائَةِ حَدِيْثٍ بِالْمُكَرَّرِ، اتَّفَقَ لَهُ الشَّيْخَانِ عَلَىٰ ثَمَانِيَةِ أَحَادِيْثَ، وَانْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ بِحَدِيْثَيْنِ، وَمُسْلِمٌ بِسِتَّةٍ(٢).

✓ له خمسة أولاد: المنذر، وعبيد الله، وأيوب، وإبراهيم، وعمرو، وقد رووا عنه إلا أن إبراهيم لم يدركه كما ذكر ذلك الذهبي في السير، وروىٰ عنه حفيده أبو زرعة بن عمرو بن جرير، وكون إبراهيم لم يدركه، فلعل جريرًا أدركته المنية،

(١) «سير أعلام النبلاء ط الرسالة» (٢/ ٥٣٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء ط الرسالة» (٢/ ٥٣٧).

وإبراهيم صغير في سن الرضاع أو أنه في بطن أمه.

✓ **فائدة:** أسلم جرير بن عبد الله، وكان سيدًا مطاعًا في قومه، وهكذا أسلم عدد كبير من الصحابة، وكانوا سادة في قومهم كأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وسعد بن عبادة، وسعد بن معاذ، وثمامة بن أثال، ووائل بن حجر، وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وظلوا بعد إسلامهم سادة في قومهم، وفي هذا يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فَقِهُوا**»(١)،

✓ وهكذا على مر التاريخ كل من أسلم أو تمسك بدينه وترك المعاصي والبدع فإنه تبقى له سيادته، ويكون ما لديه من عز ومال وسؤدد، وقوة ومنعة يستخدمها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما جاء في الأثر(٢): «**إِنَّ اللهَ لَيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ**».

✓ فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حين أسلم هؤلاء السادة لم يضعهم موضع التهمة، أو أن يحذر منهم، أن ينقلبوا عليه، أو أنه أسقط سيادتهم، وجعلهم رعية، أو في منزلة العبيد ورفع من يشاء سواهم، بل ما زادهم إسلامهم إلا رفعة ومكانة وازدادوا حبًا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعند قومهم،

✓ وهكذا نقول لكل تاجر ومسؤول وشيخ قبيلة يريد أن يرجع إلى الله

---

(١) الحديث متفق عليه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكن هذا لفظ أحمد بالخطاب برقم «١٠٢٩٦».

(٢) هذا أثر مشهور يروى عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه: ابن شبة (ت ٢٦٢ هـ) في «تاريخ المدينة» (٣/ ٩٨٨) عن يحيى بن سعيد عن عثمان، وذكره مالك عن عثمان كما في «التمهيد - ابن عبد البر» (١/ ٢٩١ ت بشار). وذكره بعضهم مرفوعًا، ولكن ليس له إسناد. قال ابن كثير في «تفسيره- ت السلامة» (٥/ ١١١): «**أي: ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام، ما لا يمتنع كثيرٌ من الناس بالقرآن، وما فيه من الوعيد الأكيد، والتهديد الشديد، وهذا هو الواقع**».

ويترك بدعته أو معصيته، نقول له: اطمئن فما دعوناك إلى الله لنستحوذ على مالك، ولا لنسحب البساط من تحتك، فالغني ماله له بارك الله له فيما أعطاه، وشيخ القبيلة والمسؤول له ما أعطاه الله من السيادة والتمكين.

✓ والذي نريده من الجميع أن يتمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فالحاكم ندعوه إلى الحكم بالعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج:٤١].

✓ والتاجر نريد منه أن يكتسب من حل وينفق كما أمره الله، والله الموفق.

شرح الحديث

❖ **قوله: (قوم عراة)** يعني جاءوا عليهم ثياب بالية لا تستر أبدانهم الستر المطلوب.

❖ **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النهاية في كلامه على النمار: كلُّ شَمْلَةٍ مُخَطَّطة مَنْ مَآزِر الْأَعْرَابِ فَهِيَ نَمِرة، وجمعُها: نِمار، كَأَنَّهَا أخِذت مِنْ لَوْنِ النَّمِر؛ لِمَا فِيهَا مِنَ السَّواد والبَياض. وَهِيَ مِنَ الصِّفات الْغَالِبَةِ، أَرَادَ أَنَّهُ جَاءَهُ قومٌ لابِسي أُزُرٍ مُخَطَّطة مِنْ صُوف. انتهى.

❖ **قوله: (متقلدي السيوف)** لعلهم لم يأتوا بسيوفهم إلا أنهم متهيئون للجهاد في سبيل الله.

❖ **قوله: (من مضر)** مضر من أكبر قبائل العرب.

❖ **قوله: (فتمعر وجه النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**)** أي: تغير.

❖ **وقوله: (فدخل ثم خرج)** لعله كان يبحث عسى أن يجد في بيته ما يعطيهم

فلم يجد شيئًا.

❖ **تنبيه: في شأن الآيات التي ذكرها النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **في حديث جرير** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **وفيه أمور:**

١- كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقرأ في خطبه ثلاث آيات:

✓ **آية آل عمران:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

✓ **وآية النساء** المذكورة في الحديث.

✓ **وآية الأحزاب:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

٢- ذكر هنا من الثلاث واحدة، وهي آية النساء، ثم أتى بأخرى من غيرهن، وهي آية الحشر المذكورة في الحديث، وفي هذا دليل على أنه لا يلزم الإتيان بالثلاث دائمًا، وأنه لا مانع من تركهن أحيانًا، وأنه يجوز استفتاح الخطبة بآية تناسب الحال؛ لأنه أراد أن يحثهم على ما يقدمونه لغد.

٣- أخذ من الثلاث الآيات آية النساء؛ لأنها تدل على الأخوة، وأنهم خلقوا من نفس واحدة، ومقتضى ذلك أن الأخ يواسي أخاه، ولا سيما إذا اجتمع مع الأخوة النسبية الأخوة الدينية، وقد دلت آية الحشر على الأخوة الدينية.

❖ وفي الحديث ما كان عليه الصحابة من المسارعة إلى فعل الخير حيث أصبح أمام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كومين من ثياب وطعام، إضافة إلى الدراهم والدنانير فرضي الله عنهم وأرضاهم.

مناسبة قول النبي ﷺ في آخر الحديث: «من سن في الإسلام...»

❖ هذا فيه إشارة إلى الصحابي الذي بادر وسبق غيره، وأتى بصرة كادت يده تعجز عنها لكونه شجع الآخرين فاقتدوا به، وأتى كل واحد بما قدر عليه.

❖ **قوله**: «**من سن في الإسلام سنة حسنة...**».

❖ **قال ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح رياض الصالحين (٢/ ٣٤٤): والمراد بالسنة في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» ابتدأ العمل بسنة، وليس من أحدث؛ لأن من أحدث في الإسلام ما ليس منه فهو رد وليس بحسن، لكن المراد بمن سنها أي صار أول من عمل بها؛ كهذا الرجل الذي جاء بالصرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فدل هذا على أن الإنسان إذا وفق لسن سنة حسنة في الإسلام سواء بادر إليها.أو أحياها بعد أن أميتت. (أي [١]: فله مثل أجر فاعلها). وذلك لأن السنة[٢] في الإسلام ثلاثة أقسام:

✓ سنة سيئة: وهي البدعة، فهي سيئة وإن استحسنها من سنها لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**كل بدعة ضلالة**».

✓ وسنة حسنة: وهي على نوعين:

النوع الأول: أن تكون السنة مشروعة ثم يترك العمل بها ثم يجددها من يجددها، مثل قيام رمضان بإمام، فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ شرع لأمته في أول الأمر الصلاة بإمام في قيام رمضان، ثم تخلف خشية أن تفرض على الأمة، ثم ترك الأمر في آخر حياة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وفي عهد أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وفي أول

---

(١) ليست هذه الجملة في كلام الشيخ، ولا بد منها، فهي جواب الشرط (إذا).

(٢) أي: المذكورة في هذا الحديث.

خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم رأى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يجمع الناس على إمام واحد ففعل، فهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد سن في الإسلام سنة حسنة؛ لأنه أحيا سنة كانت قد تركت.

والنوع الثاني: من السنن الحسنة أن يكون الإنسان أول من يبادر إليها، مثل حال الرجل الذي بادر بالصدقة حتى تتابع الناس ووافقوه على ما فعل.

فالحاصل أن من سن في الإسلام سنة حسنة، ولا سنة حسنة إلا ما جاء به الشرع فله أجره وأجر من عمل بها من بعده. أهـ

❖ **قال الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ: البدعة بدعتان: بدعة محمودة، وبدعة مذمومة؛ فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم، واحتج بقول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قيام رمضان: (**نعمة البدعة هي**).

✓ هذا هو المعنى الحقيقي والتفسير السلفي للحديث.

استدلال أهل البدع بهذا الحديث على فتح باب الاستحسان

❖ استدل كثير من المبتدعة بهذا الحديث على فتح باب الاستحسان فكل من استحسن شيئًا عمل به، ودعا الناس إليه، وربما بذل الأموال في ذلك، وإذا نُصِحَ بترك ذلك لكونه بدعة، استدل بحديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة...**».

والجواب على ذلك من وجوه:

الأول: أن الذي قال: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة**»، هو الذي قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، ولا يمكن أن يكون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ متناقضًا؛ فلا بد أن يكون المعنى غير ما فهمتم؛ لأنه يلزم على قولكم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ منع من البدع

وأذن بها، وهذا تناقض، والرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ بريء من ذلك، فلا بد من الرجوع إلى أن معنى قوله: «**من سن**» من أحيا سنة قد أميتت، أو بادر إلى سنة فتبعه الناس كما تقدم في كلام ابن عثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ.

الثاني: الحكم على عمل ما بأنه سنة حسنة حكم شرعي، فكيف عرفت أنها سنة حسنة، وإنما الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يحكم بأنها حسنة، حتى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ إذا حكم لعمل بأنه حسن ومشروع فبوحي من الله لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم:٣-٤].

فكيف عرف هذا المستحسن أن الله يحب هذا العمل، أو لا يحبه، إنما يخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه أو على لسان رسوله أنه يحب العمل، أو لا يحبه، فالعمل الواحد قد يحبه الله في حين، ولا يحبه في حين آخر، فعلى سبيل المثال:

- ✓ صيام آخر يوم من شعبان ليس محبوبًا لله لأنه صيام يوم الشك، وصيامه معصية، وصيام اليوم الذي بعده مباشرة، الواحد من رمضان محبوب لله!
- ✓ كذلك صيام آخر يوم من رمضان محبوب لله، وصيام اليوم الذي بعده مباشرة عيد الفطر صيامه ليس محبوبًا لله لأنه يوم عيد!

فهذه أشياء لا يدركها العقل، وإنما تدرك بالشرع.

- ✓ كذلك صيام يوم التاسع من ذي الحجة يكفر الله به ذنوب عامين، وصيام اليوم الذي بعده محرم، وهو العاشر من ذي الحجة يوم عيد الأضحى.
- ✓ كذلك كل ما يعمله المسلم قبل صعود الخطيب يوم الجمعة محبوب لله من صلاة نافلة، أو تلاوة قرآن، أو ذكر، أو دعاء، وغير ذلك يصبح ذلك كله محرمًا بعد صعود الخطيب، وشروعه في خطبته فهل يستطيع العقل يدرك ذلك؟!

✓ كذلك الصلاة قبل الشروق وقبل الغروب وقبل الزوال مكروهة، وبعد الشروق والغروب والزوال مشروعة!

فهذه أشياء تدرك بالشرع لا بالعقل.

هذه الأمثلة يتبين بها أننا لا نستطيع أن نقول لعمل إنه حسن أو محبوب لله إلا بدليل من الكتاب والسنة، وأن عقولنا غير كافية للحكم لأي عمل بأنه حسن أو غير حسن.

الوجه الثالث: هل نزل جبريل من السماء على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالعمل الذي تعمله أنت وسميته سنة حسنة، أم لم ينزل؟

فإن قلت: إنه لم يأتِ به جبريل فقد حكمت على عملك بأنه بدعة، وإن قلت: نعم نزل به جبريل، وأخبر به محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فيتوجه إليك سؤال آخر: هل عمل به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وبلغ أصحابه أم لا؟

فإن قلت: نعم، عمل به وبلغه أصحابه. قلنا: هذه كتب السنة أخرج أدلتك منها، وإن قلت: لم يعمل به، ولم يبلغه أصحابه؛ فهذا طعن في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه كتم شيئًا من الدين.

ثم كيف عرفت أن جبريل نزل به من السماء إذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم يعمل به، ولم يعلم أصحابه!

هل كانت أذنك عند أذن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حين أخبره جبريل؟

وهنا تذوب دعوى الباطل ويضمحل.

من دلالات الحديث

❖ وفي الحديث الحث على المبادرة إلى العمل بالسنة، وإحياء ما اندرس منها، فإن من فعل ذلك كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده الفرض بالفرض والنفل بالنفل.

❖ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**»(١).

❖ هذا الحديث يدل على ما دل عليه حديث جرير في فضيلة من دل على هدىً، وذم من دل على شر.

✓ ومن سن في الإسلام سنة حسنة، أو دعا إلى هدىً هو المتوقع منه أن يكون مبادرًا إلى الخير قولًا وفعلًا فهو الموحد الذي صح توحيده يدعو إلى التوحيد بأقواله وأفعاله، ويحذر من الشرك صغيره وكبيره، وهو البار لوالديه، الوصول لرحمه، والمحسن جواره، وهو المحافظ على الصلوات الخمس مع الجماعة، وهو حسن العشرة مع زوجته، وحسن التربية لأولاده، وهو المؤدي للأمانة ليس بغشاش ولا كذاب، ولا حلاف الأيمان الفاجرة، ولا مغتاب ولا نمام ولا سباب ولا شتام، ولا في قلبه غل ولا حقد ولا غدار ولا خائن، بل يحب المسلمين، ويوصل الخير إليهم ما استطاع... إلى غير ذلك من الصفات الحسنة؛ فهو قدوة في

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٤).

جميع أحواله؛ فأصحاب هذه الصفات هم الذين تنتشر بهم السنة، ويحيا بهم ما اندرس منها وتنطمس بهم البدع وتختفي ويذل أهلها.

✓ وما أحسن ما قاله الحسن البصري حين تلا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣].

فَقَالَ: (هَذَا حَبِيبُ الله، هَذَا وَلِيُّ الله، هَذَا صَفْوَةُ الله، هَذَا خِيرَةُ الله، هَذَا أَحَبُّ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى الله، أَجَابَ الله فِي دَعْوَتِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ الله فِيهِ مِنْ دَعْوَتِهِ، وَعَمِلَ صَالِحًا فِي إِجَابَتِهِ ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ هَذَا خَلِيفَةُ الله).

أخرجه عبد الرزاق الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التفسير برقم (٢٧١٠) عن معمر عنه.

مثال ما ذكر في الحديث: «من سن في الإسلام»

❖ مثاله المبادرة إلى الصدقة كما ورد في هذا الحديث؛ فيقتدي به الناس، أو أن يأتي شخص إلى قومٍ يتساهل نساؤهم بالحجاب فيحثهم على الحجاب فتحتجب النساء، أو ينتشر فيهم مصافحة النساء الأجنبيات فيحذر الناس من ذلك فينتهي من شاء الله أن ينتهي عن ذلك.

❖ أو أنهم يتخلفون عن الجماعة فيحثهم على إتيان الجماعة فيسارعون إليها ويعملون بما أمرهم إلى غير ذلك من الصالحات التي دعا إليها فجدد ما اندرس من السنة، وبادر إلى كثير من الصالحات، فأحيا المجتمع بطاعة الله وترك معصيته.

قوله: «من سن في الإسلام سنة سيئة»

❖ مثاله ما تقدم في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «... **وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**».

✓ وهذا كقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:٢٥].

✓ وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت:١٢-١٣].

❖ «**من سن في الإسلام سنة سيئة...**»، أي: أحدث بدعة أو نشر بدعة في أناس لا يعرفون تلك البدعة، وسواء كانت البدعة من إحداثه واختراعه كما في اللفظ المتفق عليه لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»، أو كانت البدعة من إحداث غيره، فقام هو بنشرها كما في لفظ مسلم لهذا الحديث قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»، فهو داخل في حديث: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**».

❖ وهكذا لو نشر معصية من المعاصي فهو داخل في ذلك كأن ينشر التبرج والاختلاط، أو ينشر الغناء، أو شجع الناس على المعاملات الربوية، أو ألعاب الميسر، أو نشر التلفاز، أو شجع على مجالس الغيبة والنميمة، أو قتل النفس المحرمة، إلى غير ذلك، فعليه مثل أوزارهم، وإن مات ـ إن كان مات ولم يتب ـ فتظل السيئات، تصل إلى صحيفة عمله بعد موته، نعوذ بالله من الخِذلان.

✓ ويصدق على هذا قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [القيامة:٥]. أي: أنه لم يكتفِ بفجوره الحالي حتى ضم إليه فجوره المستقبلي في حياته وبعد مماته.

✓ كما جاء عن بعض السلف أنه الذي لا يتوب أو يسوف التوبة، يدعي أنه سوف يتوب، ولا يتوب، فكيف بمن أصر على المعصية وهيأ أسبابها في مواقع إباحية أو أرصدة ربوية، أو أحيا شركيات وبدعًا، وهيأها لتستمر؛ فالسيئات تصل إليه بعد مماته. والعياذ بالله.

عقوبة من يعلم الأطفال شرب الخمر

❖ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**كُلُّ مُخَمِّرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَنْ شَرِبَ مُسْكِرًا بُخِسَتْ صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللّه أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ**»، قِيلَ: وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، وَمَنْ سَقَاهُ صَغِيرًا لَا يَعْرِفُ حَلَالَهُ مِنْ حَرَامِهِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللّه أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ**»(١).

❖ وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ... قال: قلت: وهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوها فيها**»(٢).

✓ أي: أنهم يدعون الناس إلى أعمال مآل أصحابها النار.

✓ وهذه المعاصي التي ينشرها الشخص في قوم لم يألفوها تسمى سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها.

❖ عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ**

---

(١) رواه أبو داود برقم (٣٦٨٠).

(٢) أخرجه مسلم.

ظُلْمًا، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»[(١)].

✓ وأعظم من ذلك كله، ما لو نشر الشرك بالله، وجدد الأضرحة، وحث الناس على زيارتها، والتقرب إليها بأنواع القربات.

✓ فكم من قبور مشيدة اندرست معالمها فيأتي بعض أهل الضلال فيجدد ما اندرس من معالمها، وإذا بأفواج الناس يتوافدون على تلك القبور ما بين ناذرٍ لها، وذابحٍ، وداعٍ ومستغيث، وغير ذلك، وكل ذلك يَنْصَبُّ في سجل سيئات من جددها، ودعا إليها، وهكذا من استورد كتب السحر وباعها ونشرها في الناس، فعليه وزر ما يحصل من أضرار، فكم من مسحور أصيب بالجنون، أو ذهب ماله، أو انتهك عرضه... إلى غير ذلك، وكل ذلك يَنْصَبُّ في سجل سيئات مستورد تلك الكتب.

نسأل الله السلامة والعافية، والحمد لله رب العالمين.

(١) متفق عليه.

الحديث الرابع:

حديث: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر»

[٤] عَن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**» متفق عليه، واللفظ لمسلم (٢٦٠٧).

ترجمة عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

❖ **قال الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ في سير أعلام النبلاء (١/ ٤٦١): الإِمَامُ الحَبْرُ، فَقِيْهُ الأُمَّةِ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الهُذَلِيُّ، المَكِّيُّ، المُهَاجِرِيُّ، البَدْرِيُّ، حَلِيْفُ بَنِي زُهْرَةَ. كَانَ مِنَ السَّابِقِيْنَ الأَوَّلِيْنَ، وَمِنَ النُّجَبَاءِ العَامِلِيْنَ، شَهِدَ بَدْرًا، وَهَاجَرَ الهِجْرَتَيْنِ، وَكَانَ يَوْمَ اليَرْمُوْكِ عَلَى النَّفْلِ، وَمَنَاقِبُهُ غَزِيْرَةٌ، رَوَى عِلْمًا كَثِيْرًا. أهـ.

❖ عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنْتُ أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَمَرَّ بِي رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ، هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟**» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ، قَالَ: «**فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟**» فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، فَنَزَلَ لَبَنٌ، فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ، وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: «**اقْلِصْ**» فَقَلَصَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: «**يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ**».

✓ وفي رواية قال: أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصَخْرَةٍ مُنْقَعِرَةٍ، فَاحْتَلَبَ فِيهَا، فَشَرِبَ، وَشَرِبَ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ شَرِبْتُ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: «**اقْلِصْ**» فَقَلَصَ، فَأَتَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ: عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ؟ قَالَ: «**إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ**»، قَالَ: فَأَخَذْتُ مِنْ فِيهِ سَبْعِينَ سُورَةً، لَا يُنَازِعُنِي فِيهَا أَحَدٌ(١).

❖ ذكر **ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ في البداية والنهاية: أن هذه القصة كانت سبب إسلامه.

✓ وقال **عنه ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: أسلم قديمًا قبل عمر.

❖ عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقد رأيتني سادس ستة، وما على ظهر الأرض أحدٌ غيرنا، يعني: مسلمًا.

❖ قال **موسى بن عقبة**: وممن قدم من مهاجرة الحبشة الهجرة الأولى إلى مكة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم هاجر إلى لمدينة. أهـ.

✓ **قلت**: أخباره في مكة قليلة؛ لكونه كان من المستضعفين كما تقدم في ترجمة البراء، ثم هاجر إلى الحبشة.

❖ عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ تَرْفَعَ الْحِجَابَ وَأَنْ تَسْمَعَ سِوَادِي حَتَّى أَنْهَاكَ**»(٢).

❖ **قال النووي** رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه على مسلم: السِّوَادُ بِكَسْرِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَبِالدَّالِ وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ السِّرَارُ... إلخ.

---

(١) رواه أحمد برقم (٣٥٩٨،٤٤١٢)، وحسنه الألباني والوادعي رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

(٢) رواه مسلم.

✓ والمراد أنك إذا رفعت الحجاب عن بابي أو وجدته مرفوعًا وسمعت كلامًا بيني وبين شخص ولو كان الصوت منخفضًا ككلام السر فذاك إذني لك بالدخول عليَّ إلا أن أنهاك فأقول لك: لا تدخل؛ لاحتمال أن يكون الكلام خاصًا بين النبي وذلك الذي يساره.

وتخصيص ابن مسعود بذلك فضيلة ظاهرة له.

❖ عن أبي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ اليَمَنِ فَمَكَثْنَا حِينًا مَا نُرَىٰ إِلاَّ أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، لِمَا نَرَىٰ مِنْ دُخُولِهِ وَدُخُولِ أُمِّهِ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ. رواه البخاري.

✓ وفي لفظ في الصحيحين: ما نرىٰ ابن مسعود وأمه إلا من أهل البيت من كثرة دخولهم ولزومهم له.

❖ قال **الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ (٧/ ١٠٣): الْحَدِيثُ دَالٌّ عَلَىٰ مُلَازَمَتِهِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ فَضْلِهِ. أهـ

❖ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: قَدِمْتُ الشَّأْمَ فَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلْتُ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَأَتَيْتُ قَوْمًا فَجَلَسْتُ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا شَيْخٌ قَدْ جَاءَ حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ جَنْبِي، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَقُلْتُ: إِنِّي دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُيَسِّرَ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَيَسَّرَكَ لِي، قَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ، قَالَ: أَوَلَيْسَ عِنْدَكُمْ ابْنُ أُمِّ عَبْدٍ صَاحِبُ النَّعْلَيْنِ وَالوِسَادِ، وَالمِطْهَرَةِ، وَفِيكُمُ الَّذِي أَجَارَهُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ، - يَعْنِي عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ - أَوَلَيْسَ فِيكُمْ صَاحِبُ سِرِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ، ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ يَقْرَأُ

عَبْدُ اللهَّ: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ؟ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ. وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَىٰ قَالَ: «وَاللهَّ لَقَدْ أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللهَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ مِنْ فِيهِ إِلَىٰ فِيَّ»(١).

❖ عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: ... عَلَىٰ قِرَاءَةِ مَنْ تَأْمُرُونِي أَنْ أَقْرَأَ؟ فَلَقَدْ «قَرَأْتُ عَلَىٰ رَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَلَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، أَنِّي أَعْلَمُهُمْ بِكِتَابِ الله، وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنِّي لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ» قَالَ شَقِيقٌ: فَجَلَسْتُ فِي حَلَقِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَلَا يَعِيبُهُ(٢).

❖ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: سَأَلْنَا حُذَيْفَةَ عَنْ رَجُلٍ قَرِيبِ السَّمْتِ وَالهَدْيِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ حَتَّىٰ نَأْخُذَ عَنْهُ، فَقَالَ: «مَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَقْرَبَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا بِالنَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ»(٣).

❖ عَنْ قَيْسِ بْنِ مَرْوَانَ، أَنَّهُ أَتَىٰ عُمَرَ - فَقَالَ: جِئْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْكُوفَةِ، وَتَرَكْتُ بِهَا رَجُلًا يُمْلِي الْمَصَاحِفَ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ، فَغَضِبَ وَانْتَفَخَ حَتَّىٰ كَادَ يَمْلَأُ مَا بَيْنَ شُعْبَتَيِ الرَّحْلِ، فَقَالَ: وَمَنْ هُوَ وَيْحَكَ؟ قَالَ: عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ. فَمَا زَالَ يُطْفَأُ وَيُسَرَّىٰ عَنْهُ الْغَضَبُ، حَتَّىٰ عَادَ إِلَىٰ حَالِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا. ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ، وَالله مَا أَعْلَمُهُ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ هُوَ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْ ذَلِكَ، كَانَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لَا يَزَالُ يَسْمُرُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ اللَّيْلَةَ كَذَاكَ فِي

---

(١) «صحيح البخاري» (٥/ ٢٥) برقم «٣٧٤٢».

(٢) «صحيح مسلم» برقم «١١٤».

(٣) «صحيح البخاري» (٥/ ٢٨) برقم «٣٧٦٢».

الْأَمْرِ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّهُ سَمَرَ عِنْدَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَأَنَا مَعَهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَخَرَجْنَا مَعَهُ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَسْتَمِعُ قِرَاءَتَهُ، فَلَمَّا كِدْنَا أَنْ نَعْرِفَهُ، قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**» قَالَ: ثُمَّ جَلَسَ الرَّجُلُ يَدْعُو، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَهُ: «**سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ**» ، قَالَ عُمَرُ قُلْتُ: وَاللهَّ لَأَغْدُوَنَّ إِلَيْهِ فَلَأُبَشِّرَنَّهُ، قَالَ: فَغَدَوْتُ إِلَيْهِ لِأُبَشِّرَهُ، فَوَجَدْتُ أَبَا بَكْرٍ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ فَبَشَّرَهُ، وَلا وَاللهَّ مَا سَبَقْتُهُ إِلَى خَيْرٍ قَطُّ إِلَّا سَبَقَنِي إِلَيْهِ (١).

❖ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم بدر: «**مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ**» فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّىٰ بَرَدَ، فَقَالَ: آنْتَ أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ ابْنُ عُلَيَّةَ، قَالَ سُلَيْمَانُ: هَكَذَا قَالَهَا أَنَسٌ، قَالَ: "أَنْتَ أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ: وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ" قَالَ سُلَيْمَانُ: أَوْ قَالَ: «قَتَلَهُ قَوْمُهُ» قَالَ: وَقَالَ أَبُو مِجْلَزٍ: «قَالَ أَبُو جَهْلٍ فَلَوْ غَيْرُ أَكَّارٍ قَتَلَنِي»! (٢).

✓ جاء في بعض الروايات: فأخذ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلحيته فقال: يا عدو الله، أنت أبو جهل، أنت الشيخ الضال!، قال: ولا أهابه عند ذلك... قال فضربته بسيف غير طائل فلم يغن شيئًا حتىٰ سقط سيفه من يده فضربته حتىٰ برد.

✓ قال قيس بن أبي حازم: رأيته آدم خفيف اللحم.

---

(١) «مسند أحمد» (١/ ٣٠٨ ط الرسالة) برقم «١٧٥».

(٢) «صحيح البخاري» (٥/ ٨٥) برقم «٤٠٢٠».

✓ وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة كان عبد الله رجلًا نحيفًا قصيرًا شديد الأدمة، وكان لا يغير شيبه.

✓ الأعمش عن زيد بن وهب قال: إني لجالس مع عمر إذ جاء ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكاد الجلوس يوارونه من قصره فضحك عمر حين رآه فجعل عمر يكلمه ويتهلل وجهه ويضاحكه، وهو قائم عليه، ثم ولَّى، فأتبعه عمر بصره حتىٰ توارىٰ فقال: «**كُنَيْفٌ مُلِئَ عِلْمًا**». ذكره الذهبي في السير، وأخرجه ابن سعد وأبو نعيم.

✓ الكنيف: بالكسر وعاء الراعي والتصغير للتعظيم، أي: أراد أنه وعاء ملئ علمًا.

❖ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**» أخرجه أحمد.

❖ قال الذهبي في السير (١/ ٤٦٢): اتفقا في الصحيحين علىٰ أربعة وستين حديثًا، وانفرد البخاري بإخراج أحد عشر حديثًا، ومسلم بإخراج خمسة وثلاثين حديثًا، وله عند بقي بن مخلد ـ بالمكرر ثمانمائة وأربعون حديثًا. أهـ

✓ علىٰ هذا يكون مجموع ما في الصحيحين (١٢٠) حديثًا.

✓ أمه: أم عبد بنت عبد ود سواء بن قريم الهذلية أسلمت ولها صحبة كما مر في كلام أبي موسىٰ.

✓ زوجته: زينب بنت أبي معاوية عبد الله الثقفية، وقيل: اسمها ريطة، وقيل: ريطة لقب، وقيل: ريطة زوجة أخرىٰ. والله أعلم.

✓ أبناؤه: أبو عبيدة، وعبد الرحمن، وعنبة. تراجمهم في تقريب التهذيب، وكلهم ثقات، وأختهم سارة.

شرح الحديث

قوله: «عليكم بالصدق...».

✓ «**عليكم**» اسم فعل أمر، أي: الزموا «**الصدق**» الباء زائدة، والصدق مفعول به مجرور لفظًا، منصوب محلًا علىٰ الإغراء، وكقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة:١٠٥].

✓ «**عليكم بالصدق**»، أي: الزموا الصدق، أي: دائمًا حتىٰ يكون خلقًا ثابتًا لكم، لا ينفك عنكم.

❖ قوله: «**فإن الصدق يهدي إلى البر**» أي: يدل عليه، ويرشد إليه، ويوفق الله الصادقين إلىٰ أعمال الأبرار،

✓ قال تعالىٰ: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

✓ فوصف أصحاب هذه الصفات بأنهم الصادقون مع أنه افتتح الآية بالتعريف بالبر.

✓ ومثل هذ الحديث قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

... فوعد الله من قال القول السديد أن يصلح أعماله كلها، ويهديه إليها، فالقول السديد أعظمه الصدق والأعمال التي يصلحها هي أعمال البر.

اعتياد الشخص على الصدق سبب لقبول كلامه

❖ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟**»، قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا(١)، قَالَ: «**فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥﴾ [المسد:١-٥]، متفق عليه، واللفظ للبخاري.

✓ فيظهر من سياق الحديث أنهم قد اعتادوا منه الصدق بحيث قد أصبحوا لا يردون له قولًا لكنهم كذبوه عنادًا كما قال تعالى: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣].

✓ واقتداء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فعلينا أن نلزم الصدق حتى يعتاده الناس منا فلا يجد أحدٌ منا كذبًا قطعًا، وعند ذلك ستستغني عن المؤكدات، لست

(١) وفي رواية في الصحيحين: «**ما جربنا عليك كذبًا**».

في حاجة إلى أن تحلف ليقبل الناس كلامك، ولا أن تقول: حرام وطلاق ليصدقك الناس، ولا غير ذلك مما يفعله كثير من الناس، فما دام أن الناس قد جربوا عليك صدق الحديث، فقد استغنوا عن جميع المؤكدات.

✓ وكم من الناس من يحدث فيكذب، ويحلف فيكذب، ويقول حرام وطلاق ويكذب فانتزعت الثقة منه، وأصبح مبغوضًا منبوذًا يشار إليه بالبنان أنه كذاب، ويحذر الناس بعضهم بعضًا أن لا يصدقوه، وأن لا يثقوا بمعاملته في بيع أو شراء، أو غير ذلك.

❖ **قال الماوردي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (أدب الدنيا والدين) في دواعي الصدق:

١- العقل، من حيث كونه موجبًا لقبح الكذب(١).

---

(١) نستفيد من كلام الماوردي: أن عقل المرء يرشده إلى حسن الصدق، وقبح الكذب، وأنه لا خير في الكذب. **هذا إن كان المرء عاقلًا**، أما غير العاقل فإنه يعتبر الكذب منجاة من الورطات، فيتخلص من المواقف الحرجة بالكذب لو كان عاقلًا لعلم أن الكذب مخرج غير صحيح، بل هو من ورطات الأمور: **أولًا: لأنه معصية. ثانيًا: أن الله قد يفضحه، فكيف يكون حاله لو فضح**، فلو كان عاقلًا لفكر في عواقب الكذب السيئة، ولترك الكذب، وحافظ على الصدق، وسيجعل الله له مخرجًا إذا صدق، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق:٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق:٤].

الأمر الثاني الذي ذكره الماوردي من بواعث الصدق، المروءة: والمراد بها كمال الرجولة، وعرفها بعضهم فقال: آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق، وجميل العادات، وخوارم المروءة كل ما يدعو إلى ذم الفاعل عرفًا وشرعًا. وهذا يختلف باختلاف المجتمعات فلا بد من النظر في هذا؛ لأن من المجتمعات من يعتبرون إعفاء اللحية عيبًا، ويعتبرون الحجاب عيبًا... إلى غير ذلك، فلا بد من اعتبار نظر الشرع في خوارم المروءة عند بعض المجتمعات، لكن المجتمعات كلها مجمعة على أن الكذب خارم للمروءة كما قال الماوردي، فكل الناس يرون الكذب أمرًا معيبًا.

٢- الشرع: حيث ورد بوجوب اتباع الصدق، وحظر الكذب[١]، والله سبحانه لم يشرع إلا كل خير.

٣- المروءة، لأنها مانعة من الكذب، باعثة على الصدق.

٤- حب الاشتهار بالصدق، فمن يتمتع بهذا الاشتهار بين الناس، لا يرد عليه قول، ولا يلحقه ندم. انتهى من نظرة النعيم.

✓ ولهذا لم يمنع أبا سفيان من الكذب على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عند هرقل إلا المروءة، وأن يوصف بالكذب؛ لأن هرقل قال: إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه، أي: فليكن موصوفًا بالكذب إذا رجعتم إلى بلادكم، فقال أبو سفيان: فو الله لولا أن يأثروا عليَّ كذبًا لكذبت عنه.

❖ **قال النووي** رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح مسلم عند شرحه لحديث ابن مسعود: **قَالَ الْعُلَمَاءُ**: مَعْنَاهُ أَنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ الْخَالِصِ مِنْ كُلِّ مَذْمُومٍ، وَالْبِرُّ اسْمٌ جَامِعٌ لِلْخَيْرِ كُلِّهِ. وَقِيلَ: الْبِرُّ الْجَنَّةُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَنَاوَلَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَالْجَنَّةَ، وَأَمَّا الْكَذِبُ فَيُوصِلُ إِلَى الْفُجُورِ، وهوالميل عَنِ الِاسْتِقَامَةِ، وَقِيلَ: الِانْبِعَاثُ فِي الْمَعَاصِي.

معنى التحري والكتابة الواردين في الحديث

❖ وقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**لَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ**».

---

(١) ومعنى: حظر الكذب، أي: منعه.

وقال في الكذب: «**لَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ**».

وقال في الكذب: «**وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ**».

✓ قَالَ **الْعُلَمَاءُ**: هَذَا فِيهِ حَثٌّ عَلَى تَحَرِّي الصِّدْقِ، وَهُوَ قَصْدُهُ، وَالِاعْتِنَاءِ بِهِ، وَعَلَى التَّحْذِيرِ مِنَ الْكَذِبِ، وَالتَّسَاهُلِ فِيهِ فَإِنَّهُ إِذَا تَسَاهَلَ فِيهِ كَثُرَ مِنْهُ فَعُرِفَ بِهِ، وَكَتَبَهُ اللهُ لِمُبَالَغَتِهِ صِدِّيقًا إِنِ اعْتَادَهُ، أَوْ كَذَّابًا إِنِ اعْتَادَهُ.

✓ وَمَعْنَى: يُكْتَبُ هُنَا يُحْكَمُ لَهُ بِذَلِكَ، وَيَسْتَحِقُّ الْوَصْفَ بِمَنْزِلَةِ الصِّدِّيقِينَ وَثَوَابِهِمْ، أَوْ صِفَةِ الْكَذَّابِينَ وَعِقَابِهِمْ، وَالْمُرَادُ إِظْهَارُ ذَلِكَ لِلْمَخْلُوقِينَ... إلخ.

❖ قوله: «**حتى يكتب عند الله صديقًا**».

✓ **قال الفيروز آبادي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه تمييز بصائر ذوي التمييز: الصِّدِّيق: الرّجل الكثير الصّدق.

✓ وقيل: الصّدِّيق: مَن لم يصدر منه الكذب أَصلًا.

✓ **وقيل**: مَن لا يتأَتَّى منه الكذب لتعوّده الصّدق.

✓ **وقيل**: مَنْ صَدَق بقوله واعتقاده، وحَقَّق صدقه،

قال تعالى في حقّ إبراهيم: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم:٤١].

وقال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء:٦٩].

فالصّدّيقون: قومٌ دون الأَنبياءِ في الفضيلة، ولكن درجتهم ثاني درجة النبيّين. انتهى[(١)].

(١) «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» (٣/ ٣٩٧).

مقتطفات من كلام ابن القيم في منزلة الصدق

❖ **قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]: فَالصِّدْقُ: فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ.

✓ **فَالصِّدْقُ** فِي الْأَقْوَالِ: اسْتِوَاءُ اللِّسَانِ عَلَى الْأَقْوَالِ، كَاسْتِوَاءِ السُّنْبُلَةِ عَلَى سَاقِهَا.

✓ وَالصِّدْقُ فِي الْأَعْمَالِ: اسْتِوَاءُ الْأَفْعَالِ عَلَى الْأَمْرِ وَالْمُتَابَعَةِ. كَاسْتِوَاءِ الرَّأْسِ عَلَى الْجَسَدِ.

✓ وَالصِّدْقُ فِي الْأَحْوَالِ: اسْتِوَاءُ أَعْمَالِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ عَلَى الْإِخْلَاصِ. وَاسْتِفْرَاغُ الْوُسْعِ، وَبَذْلُ الطَّاقَةِ. اهـ

يعني استفراغ الوسع في الأقوال وأعمال القلوب والجوارح.

يعني أن الصدق يسيطر على جميع الأقوال كلها.

وهكذا تكون الأفعال كلها أعمال صدق وجد وتكون حقًا ثابتًا كما أمر الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: ولا يكون حال من أحواله، وعمل من أعمال قلبه إلا وهو خال مما يفسد عمله من رياء أو غرور وفخر، ولا يكون في أعماله حقد ولا غل ولا حسد... إلخ.

❖ **وقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

✓ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: أَنْ يَسْأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ مُدْخَلَهُ وَمُخْرَجَهُ عَلَى الصِّدْقِ. فَقَالَ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء:٨٠].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٠٥).

✓ وَأَخْبَرَ عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ سَأَلَهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ، فَقَالَ: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء:٨٤].

✓ وَبَشَّرَ عِبَادَهُ بِأَنَّ لَهُمْ عِنْدَهُ قَدَمَ صِدْقٍ، وَمَقْعَدَ صِدْقٍ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [يونس:٢].

✓ وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ ٥٥﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

فَهَذِهِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ:

- مُدْخَلُ الصِّدْقِ،
- وَمُخْرَجُ الصِّدْقِ،
- وَلِسَانُ الصِّدْقِ،
- وَقَدَمُ الصِّدْقِ،
- وَمَقْعَدُ الصِّدْقِ.

وَحَقِيقَةُ الصِّدْقِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ: هُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ، الْمُتَّصِلُ بِاللَّهِ، الْمُوَصِّلُ إِلَى اللَّهِ. وَهُوَ مَا كَانَ بِهِ وَلَهُ، مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ. وَجَزَاءُ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

✓ فَمُدْخَلُ الصِّدْقِ، وَمُخْرَجُ الصِّدْقِ: أَنْ يَكُونَ دُخُولُهُ وَخُرُوجُهُ حَقًّا ثَابِتًا بِاللَّهِ، وَفِي مَرْضَاتِهِ. بِالظَّفَرِ بِالْبُغْيَةِ، وَحُصُولِ الْمَطْلُوبِ، ضِدَّ مُخْرَجِ الْكَذِبِ وَمُدْخَلِهِ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ يُوَصَّلُ إِلَيْهَا. وَلَا لَهُ سَاقٌ ثَابِتَةٌ يَقُومُ عَلَيْهَا. كَمُخْرَجِ أَعْدَائِهِ يَوْمَ بَدْرٍ. وَمُخْرَجُ الصِّدْقِ كَمُخْرَجِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ.

وَكَذَلِكَ مُدْخَلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ: كَانَ مُدْخَلُ صِدْقٍ بِاللَّهِ، وَلِلَّهِ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ. فَاتَّصَلَ بِهِ التَّأْيِيدُ، وَالظَّفَرُ وَالنَّصْرُ... إلخ. انتهى.

❖ **وقال ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال قتادة: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ﴾ **(يعني**

المدينة)،﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ **(يعني مكة)** [الإسراء:٨٠][(١)].

(١) هذه الآية: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء:٨٠] قاعدة تأتي على حياة العبد كلها، ولنضرب لذلك أمثلة:

١) رجل خرج من بيته يريد الرزق الحلال، مخرجه مخرج صدق، فإذا دخل دكانه يريد الرزق الحلال فمدخله مدخل صدق، ولو خرج من بيته يريد الرزق ولو بالحيلة المحرمة، أو الكذب، أو الغش، أو اليمين الفاجرة، فمخرجه مخرج كذب، ودخوله في عمله بتلك النية مدخل كذب.

٢) رجل معه قضية في المحكمة، فخرج من بيته متجهًا إلى المحكمة يريد استخراج حقه، لا يريد غيره ثم دخل المحكمة بنفس النية فمخرجه من بيته مخرج صدق، ومدخله على المحكمة مدخل صدق، وإن خرج من بيته يريد شراء الذمم برشوة الحاكم، أو استئجار شهود الزور، ويريد أن يثبت لنفسه حقًا، وليس له حق في الواقع، فمخرجه من بيته مخرج كذب، ودخوله إلى المحكمة بتلك النية مدخل كذب.

٣) رجل سمع بمحاضرة أو درس علمي لعالم، أو داعية على علم وسنة، فمخرجه من بيته قاصدًا أن يتعلم شيئًا من أمور دينه، ودخل المسجد بنفس النية فمخرجه من بيته مخرج صدق ودخوله إلى المسجد مدخل صدق، وإن خرج من بيته يريد يستمع إلى المحاضرة، لكن بقصد أن يبحث عن عيوب لذلك المحاضر؛ لكونه لا يحبه، ودخل المسجد بنفس المقصد فمخرجه من بيته مخرج كذب، ودخوله إلى المسجد مدخل كذب.

٤) المرأة تخرج من غرفتها إلى غرفة أخرى تريد أن تتكلم مع زوجها فيما يصلح حالهم في أمر دينهم ودنياهم فمخرجها مخرج صدق، ومدخلها مدخل صدق، وإن كان بضد ذلك كأن تنتقل إلى غرفة التلفاز فمخرجها مخرج كذب ومدخلها مدخل كذب.

٥) إذا دخلتَ في قضية تصلح بين قوم؛ فإن كان قصدك إيصال الحق إلى أهله، وتأليف القلوب، فمخرجك مخرج صدق، ودخولك مدخل صدق، وإن أردت الانتصار لشخص، وظلم آخر فمخرجك مخرج كذب، ومدخلك مدخل كذب.

وعلى هذا فكل أمرٍ تدخل فيه تريد الخير فمدخلك مدخل صدق، ومخرجك مخرج صدق، وأي أمرٍ تدخل فيه بضد ذلك فمخرجك مخرج كذب، ومدخلك مدخل كذب. ثم انظر إلى بقية الآية حيث ختمها بقوله: ﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء:٨٠]، فجعل الله السلطان النصير لمن دخل مدخل صدق وخرج مخرج صدق.

✓ وأما لسان الصدق، فهو الثناء الحسن على نبي الله إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من سائر الأمم بالصدق، ليس ثناء بالكذب، وقد استجاب الله ذلك فقال عن إبراهيم وذريته: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم:٥٠].

والمراد بالسان هنا الثناء الحسن...

✓ وأما قدم الصدق ففسر بالجنة، وفسر بمحمد، وفسر بالأعمال الصالحة.

وحقيقة القدم ما قدموه وما يقدمون عليه يوم القيامة، وهم قدموا الأعمال والإيمان بمحمد، ويقدمون على الجنة التي هي جزاء ذلك، فمن فسره بها أراد ما يقدمون عليه، ومن فسره بالأعمال وبالنبي فلأنهم قدموها، وقدموا الإيمان به بين أيديهم، فالثلاثة قدم صدق.

✓ وأما مقعد الصدق فهو الجنة عند الرب تبارك وتعالى.

ووصف ذلك بالصدق مستلزم ثبوته واستقراره، وأنه حق، ودوامه ونفعه، وكمال عائدته فإنه متصل بالحق سبحانه كائن به، وله فهو صدق غير كذب، وحق غير باطل، ودائم غير زائل، ونافع غير ضار، وما للباطل ومتعلقاته إليه سبيل، ولا مدخل. أهـ

❖ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد:١٩].

أي: آمنوا بالله حقيقة الإيمان المستلزم لجميع شعبه، فنالوا درجة الصديقية بأعمالهم كلها البدنية والقلبية والقولية.

لأن المسلم قد يحقق من شعب الإيمان عشرين شعبة، أو ثلاثين ونحو ذلك، وعنده إيمان بالله ورسوله، لكنه إيمان ضعيف لا يوصله إلى مراتب الصديقين، ألا تراه عاجزًا عن تكميل شعب الإيمان.

زد على ذلك أن من كان إيمانه لم يوصله إلى تحقيق كل شعب الإيمان، فإن لديه معاصي صغائر وكبائر، وربما كان عنده بدع أيضًا كانت هي السبب في إضعاف إيمانه، فإذا أردت أن تكون من الصديقين فلا بد من التخلية ثم التحلية، تخلية القلب من المعاصي والبدع، وتحليته بالأعمال الصالحة.

وقوله في الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾ [الحديد:١٩]، أي: جميعهم يحبهم جميعًا.

وخاتمهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، **والإيمان به يقتضي أربعة أمور:**

١- طاعته فيما أمر.

٢- تصديقه فيما أخبر.

٣- اجتناب ما نهى عنه وزجر.

٤- ألا يعبد الله إلا بما شرع وأمر.

ومفاد هذه الأربع فعل الطاعات وترك المعاصي والبدع، وتصديق أخباره عن الغيوب الماضية والمستقبلية، وغير ذلك.

بهذا تتحقق مرتبة الصديقية.

❖ وقال **ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنْ عَلَامَاتِ الصِّدْقِ: طُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ، وَمِنْ عَلَامَاتِ الْكَذِبِ: حُصُولُ الرِّيبَةِ، كَمَا فِي التِّرْمِذِيِّ - مَرْفُوعًا - مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ. وَالْكَذِبُ رِيبَةٌ**».

قال بعضهم: لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه، أو داهن غيره[(١)].

(١) المداهنة، قال ابن القيم في كتابه الروح في الفرق بين المداهنة والمداراة: المداراة صفة مدح، والمداهنة صفة =

❖ **وقال** في بركة الصدق: إن صدق المتبايعين يحل البركة في بيعهما وكذبهما يمحق بركة بيعهما كما في الصحيحين عن حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَ**». أهـ

❖ **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: في فتح الباري عند شرح حديث: «**البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، - أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**»:

= ذم، والفرق بينهما: أن المداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يرده عن الباطل، والمداهن يتلطف به ليقره على باطله ويتركه على هواه فالمداراة لأهل الإيمان، والمداهنة لأهل النفاق. أهـ ولهذا قال الله عن المشركين: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ [القلم:٩]. ومقصود ابن القيم بمداهنة النفس: أن يكون الإنسان على معصية، ثم يلتمس لنفسه الأعذار، والمبررات، فمثل هذا لا يقلع عن الذنب، ولا يفكر في التوبة، وإنما يجهز لنفسه أجوبة لإسكات المعترضين عليه، وللتحيل للاستمرار على المعصية بأدنى الحيل، وهذا كحال الذي يرتكب المعاصي ويدعي طهارة قلبه، أو أن الناس كلهم يفعلون ذلك، أو أن هذا شأن العادات، والتقاليد، وغير ذلك.

وهنا: نطرح سؤالًا يتبين به الشخص أنه مداهن أو غير مداهن، نقول: سل نفسك عند عمل ما، هل أنت مصيب أم لا؟

فإن قلت: أنا مصيب، والله يقول كذا، أو الرسول يقول كذا؛ فأنت في هذه الحال صادق غير مداهن، وإن قلت: في عمل باطل أنا غلطان، وأسأل الله أن يهديني، فأنت صادق غير مداهن.

وإن قلت: أنا مخطئ، أو عملي هذا معصية لكن قلبي طيب، أو نيتي طيبة، أو غير ذلك، فأنت مداهن غير صادق.

ـ والمراد بمداهنة الغير، ترك نصحه خشية أن يخسر صحبته، فيبقى غاشًا له، غير ناصح، والواقعون في هذا كثير، ومن أبرزهم: الباحثون عن أتباع من الحزبيين وغيرهم من أصحاب البدع يغضوا الطرف عن مخالفات أصحابهم فإذا خالفوهم أبرزوها.

✓ وَقَوْلُهُ: (**صَدَقَا**) أَيْ: مِنْ جَانِبِ الْبَائِعِ فِي السَّوْمِ، وَمِنْ جَانِبِ الْمُشْتَرِي فِي الْوَفَاءِ.

✓ وَقَوْلُهُ: (**وَبَيَّنَا**) أَيْ: لِمَا فِي الثَّمَنِ وَالْمُثَمَّنِ مِنْ عَيْبٍ فَهُوَ مِنْ جَانِبَيْهِمَا، وَكَذَا نَقْصُهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: حُصُولُ الْبَرَكَةِ لَهُمَا إِنْ حَصَلَ مِنْهُمَا الشَّرْطُ وَهُوَ الصِّدْقُ وَالتَّبْيِينُ، وَمَحْقُهَا إِنْ وُجِدَ ضِدُّهُمَا، وَهُوَ الْكَذِبُ وَالْكَتْمُ.

✓ وَهَلْ تَحْصُلُ الْبَرَكَةُ لِأَحَدِهِمَا إِذَا وُجِدَ مِنْهُ الْمَشْرُوطُ دُونَ الْآخَرِ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ يَقْتَضِيهِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَعُودَ شُؤْمُ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ بِأَنْ تُنْزَعَ الْبَرَكَةُ مِنَ الْمَبِيعِ إِذَا وُجِدَ الْكَذِبُ أَوِ الْكَتْمُ مِنْ... وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَإِنْ كَانَ الْأَجْرُ ثَابِتًا لِلصَّادِقِ الْمُبَيِّنِ والوزر حَاصِل لِلْكَاذِبِ الْكَاتِمِ.

✓ وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ الدُّنْيَا لَا يَتِمُّ حُصُولُهَا إِلَّا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَأَنَّ شُؤْمَ الْمَعاصِي يذهب بِخَيرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة. انتهى.

❖ **وعلى** هذا فلو قال المشتري في شأن سلعة قيمتها ألف ريال: سلعتك لا تساوي إلا تسعمائة، فهو كاذب، ولو قال: أشتريها منك بتسعمائة ليكون عنده مجال للمماكسة والمبايعة فلا بأس.

✓ وهكذا لو قال البائع: هذه السلعة قيمتها ألف ومائتان فهو كاذب، ولو قال: أبيعك إياها بألف ومائتين فلا بأس.

✓ **فإن** مدح البائع السلعة بما ليس فيها، أو ذمها المشتري بما ليس فيها فهما كاذبان.

✓ **ويجمع** ذلك كله أن البائع لو تصرف أي تصرف لم يكن فيه صادقًا مع المشتري، بحيث لو كان هو المشتري ما رضيه فهو كاذب، ولو تصرف المشتري مع

البائع أي تصرف لم يكن فيه صادقًا لو كان هو البائع فهو كاذب، وقد تسبب الكاذب في محق البركة.

✓ والمراد بمحق البركة زوالها، أو نقصها؛ فيجعل الله السلعة غير مبارك فيها، فقد يخرب إن كان جهازًا، أو ينكسر، أو يسرق، أو يضيع، وإن كانت أرضًا تظهر فيها مشاكل... إلى غير ذلك.

✓ ومن بركة الصدق: أن الله جعله سببًا للنجاة في الدنيا والآخرة.

✓ أما في الدنيا فما ورد في حديث كعب بن مالك، وصاحبيه هلال بن أمية، ومرارة بن الربيع حين تخلفوا في غزوة تبوك، وليس لهم عذر فاعترفوا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حين رجع، أنهم تخلفوا من غير عذر، وحين أنزل الله الآيات أنه قبل توبتهم بعد هَجْر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والصحابة لهم خمسين ليلة، قال كعب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله، إنما نجاني الله بالصدق، فلله عليَّ ألا أكذب ما حييت، فقال لابنه عبد الله بعد ما كَبِرَ وعمي: يا بني والله ما تعمدت كذبة منذ أن قلت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ما قلت، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي من العمر... إلخ.

والشاهد من هذا قوله: إن الله إنما نجاني بالصدق.

✓ وأما أنه سبب النجاة في الآخرة، فيقول الله: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [المائدة:١١٩].

❖ **وقال ابن القيم** معلقًا على حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**عليكم بالصدق...**»: جَعَلَ الصِّدْقَ مِفْتَاحَ الصِّدِّيقِيَّةِ وَمَبْدَأَهَا. وَهِيَ غَايَتُهُ. فَلَا يَنَالُ

دَرَجَتَهَا كَاذِبٌ أَلْبَتَّةَ. لَا فِي قَوْلِهِ: وَلَا فِي عَمَلِهِ، وَلَا فِي حَالِهِ. وَلَا سِيَّمَا كَاذِبٌ عَلَى اللهِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَنَفْيِ مَا أَثْبَتَهُ. أَوْ إِثْبَاتِ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ. فَلَيْسَ فِي هَؤُلَاءِ صِدِّيقٌ أَبَدًا.

✓ **وَكَذَلِكَ** الْكَذِبُ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ وَشَرْعِهِ. بِتَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ. وَتَحْرِيمِ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ. وَإِسْقَاطِ مَا أَوْجَبَهُ، وَإِيجَابِ مَا لَمْ يُوجِبْهُ، وَكَرَاهَةِ مَا أَحَبَّهُ، وَاسْتِحْبَابِ مَا لَمْ يُحِبَّهُ. كُلُّ ذَلِكَ مُنَافٍ لِلصِّدِّيقِيَّةِ.

✓ **وَكَذَلِكَ** الْكَذِبُ مَعَهُ فِي الْأَعْمَالِ: بِالتَّحَلِّي بِحِلْيَةِ الصَّادِقِينَ الْمُخْلِصِينَ، وَالزَّاهِدِينَ الْمُتَوَكِّلِينَ. وَلَيْسَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ.

✓ **فَلِذَلِكَ** كَانَتِ الصِّدِّيقِيَّةُ: كَمَالَ الْإِخْلَاصِ وَالِانْقِيَادِ، وَالْمُتَابَعَةَ لِلْخَبَرِ وَالْأَمْرِ، ظَاهِرًا[(١)]. انتهى.

❖ **قال الشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: وأفضل الصديقين على الإطلاق أصدقهم، وهو أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عبد الله بن أبي قحافة، الذي استجاب للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حين دعاه إلى الإسلام، ولم يحصل عنده أي تردد وأي توقف، بمجرد ما دعاه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إلى الإسلام أسلم، وصدق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حين كذبه قومه، وصدقه حين تحدث عن الإسراء والمعراج وكذبه الناس وقالوا: كيف تذهب يا محمد من مكة إلى بيت المقدس وترجع في

---

(١) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٢/ ٢٦١).

(٢) شرح رياض الصالحين (١/ ٢٩٥).

ليلة واحدة ثم تقول: إنك صعدت السماء؟ هذا لا يمكن. ثم ذهبوا إلى أبي بكر وقالوا له: أما تسمع ما يقول صاحبك؟ قال: ماذا قال؟ قالوا: إنه قال كذا وكذا! قال: (**إن كان قد قال ذلك فقد صدق**)، فمنذ ذلك اليوم سمي الصديق، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أهـ

قوله: «إن الكذب يهدي للفجور»

قوله: «**إن الكذب يهدي للفجور**» أي: أنه سبب للانهماك في المعصية.

❖ **قال الشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح رياض الصالحين: يعني إذا كذب الرجل في حديثه فإنه لا يزال فيه الأمر حتى يصل به إلى الفجور والعياذ بالله، وهو الخروج عن الطاعة، والتمرد والعصيان. أهـ

❖ بوب الإمام البخاري: باب ما ينهى عن الكذب، وذكر فيه حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي نحن بصدده: «**إياكم والكذب**»، ثم ذكر حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»، ثم ذكر حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حديث الرؤيا الطويل، وفيه: «**أَنَّ رَجُلًا قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ**»(١).

---

(١) وقفة مع كلام الإمام البخاري في كلامه عن الكذب:

أفاد حديث ابن مسعود أن كثرة الكذب توصل إلى الفجور، وهي حالة المنافق، حيث أن من صفة المنافق كثرة الكذب، لقوله: «**إذا حدث كذب**». =

❖ **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري (١٠/ ٥٠٩): **قَالَ بن بَطَّالٍ**: إِذَا كَرَّرَ الرَّجُلُ الْكَذِبَ حَتَّى اسْتَحَقَّ اسْمَ الْمُبَالَغَةِ بِالْوَصْفِ بِالْكَذِبِ لَمْ يَكُنْ مِنْ صِفَاتِ كَمَلَةِ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ يَعْنِي فَلِهَذَا عقب الْبُخَارِيّ حَدِيث بن مَسْعُودٍ بِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

✓ **قُلْتُ**: وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ الْمَذْكُورُ هُنَا فِي صِفَةِ الْمُنَافِقِ يَشْمَلُ الْكَذِبَ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْقَصْدُ، الْأَوَّلُ فِي حَدِيثِهِ، وَالثَّانِي فِي أَمَانَتِهِ، وَالثَّالِثُ فِي وَعْدِهِ.

✓ **قَالَ**: وَأَخْبَرَ فِي حَدِيثِ سَمُرَةَ بِعُقُوبَةِ الْكَاذِبِ بِأَنَّهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ وَذَلِكَ فِي مَوْضِعِ الْمَعْصِيَةِ وَهُوَ فَمُهُ الَّذِي كَذَبَ بِهِ. انتهى كلام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❖ **والكذب مراتب، فأسوأ الكذب، الكذب على الله،**

✓ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يونس:٦٩].

✓ وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣].

✓ وقال: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آل عمران:٩٤]

✓ وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام:٢١].

= حديث أبي هريرة في علامة المنافق كلها في الكذب، أما قوله: «**إذا حدث كذب**» فظاهر، وأما قوله: «وإذا وعد أخلف» فإنه حين وعد عازم على ألا يفي فهو كاذب في وعده، وأما قوله: «**وإذا ائتمن خان**» فإنه عازم على الخيانة فهو كاذب في ادعاء الأمانة، ولو قدر أن طرأ عليه الخيانة، ولم ينوِ الخيانة من البداية فهذا قليل في المنافق، فشأنه الخيانة؛ لا سيما أن قوله: «**إذا**» تدل على غلبة ذلك عليه.

✓ وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر:٦٠]. وغير ذلك من الآيات.

يتبين من سياق هذه الآيات: أن الله يذكر في أكثرها وصف الكذب على الله، بالافتراء، والافتراء الكذب الفاحش.

❖ **قال ابن بطال** في شرح البخاري: الفرية الكذبة العظيمة التي يتعجب منها. انتهى.

من صور الكذب على الله

❖ **من الكذب على الله نسبة الولد إلى الله**، وهذه المعصية أعلى معاصي المشركين، وتبعهم عليها اليهود والنصارى،

✓ قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة:٣٠].

✓ ودل على أنها أكبر معاصي المشركين سياق الآية المتقدمة ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣].

فجعل الترتيب من الأدنى إلى الأعلى، فكان القول على الله بغير علم، أعلاها، وأعظمها.

❖ **قال الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتاوى نور على الدرب في كلامه على هذه الآية: جعل القول على الله بغير علم في المرتبة العليا فوق الشرك لعظم خطره، وعظم فساده، قال تعالى في وصف الشيطان: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٩]. أهـ

وأهل البدع كلهم قالوا على الله بغير علم،

❖ **قال الشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الواسطية: ويدخل في القول على الله بغير علم تحريف نصوص الكتاب والسنة في الصفات وغيرها، فإن الإنسان إذا حرف نصوص الصفات، مثل أن يقول: المراد باليدين النعمة فقد قال على الله ما لا يعلم من وجهين:

الوجه الأول: أنه نفي الظاهر بلا علم.

والثاني: أثبت لله خلافه بغير دليل.

فهو يقول: لم يرد الله كذا، وأراد كذا، فنقول: هات الدليل على أنه لم يرد، وعلى أنه أراد كذا! فإن لم تأت بالدليل فإنك قد قلت على الله ما لا تعلم. أهـ

✓ ويدخل في ذلك كل البدع العقائدية كالخوارج والمرجئة والشيعة والناصبة والجبرية والقدرية والتجسيم والتعطيل، كلهم قائلون على الله بغير علم.

✓ وكذلك البدع في العبادات كالاحتفال بالمولد، وبدع رجب وشعبان وبدع الجنائز، وكل ما دخل في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا المتفق عليه: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»، فكله قول على الله بغير علم، نسأل الله السداد.

قلت: والكذب على الله مختلف المراتب، فأعظمه جرمًا نسبة الولد إلى الله.

وقد تكلم الله عن هذا كثيرًا في كتابه، نكتفي بموضعين:

✓ الأول: قال تعالى في سورة مريم: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم:٨٨-٩٣].

ومعنى: (**إِدًّا**) الداهية، والأمر الفظيع. كما في مختار الصحاح.

يقول: لقد جئتم أمرًا فضيعًا، وهو نسبة الولد إلى الله، ولشناعة هذه المعصية تكاد السماوات أن تتفطر منها، وتكاد الأرض أن تتشقق، وتكاد الجبال أن تنهدَّ، والله عَزَّوَجَلَّ أصدق القائلين، لم يقل ذلك تهويلًا، فنسبة الولد إلى الله معصية هذا مستواها، وما ذكر كاد أن يحصل حقيقة فلو زنا إنسان أو شرب الخمر، أو غير ذلك من المعاصي فلا يصح أن نقول: لقد أتيت معصية تكاد السماوات يتفطرن منها وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا، فالذي فعله من شرب الخمر أو الزنا وغيره معاصي، لكنها ليست على هذا المستوى.

هذا المستوى ادعَّاء الولد لله عَزَّوَجَلَّ فقط.

✓ وقال في سورة الصافات: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٤﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٥٥﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٥٦﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٥٧﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٩﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ﴾ [الصافات:١٤٩-١٥٩].

❖ ومن الكذب على الله، ادعَّاء الشريك له، تصرف له أنواع من العبادات، كالدعاء والذبح والنذر والاستغفار والتوكل وغير ذلك.

✓ قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس:١٧-١٨].

ومنه الكذب على الله في تحريم ما لم يحرمه الله، وتحليل ما لم يحله الله.

✓ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾ [النحل:١١٦].

✓ وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ﴾ [يونس:٥٩].

✓ وقال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [المائدة:١٠٣].

ومن ذلك ما يحصل من جهلة الأمة وعصاتها من تحليل بعض المحرمات،

كإباحة الإفطار في رمضان للعروسين، وتركهم الصلاة، وإباحة الغناء، إما مطلقًا، أو في المناسبات، وإباحة الاختلاط ومصافحة النساء، وإباحة حلق اللحية، وإسبال الثياب للرجال، بل مع الإنكار على من أطلق لحيته، أو رفع ثوبه فوق الكعبين إلى غير ذلك، في أشياء كثيرة تحريمًا وتحليلًا، كل ذلك من الكذب على الله وعلى رسوله.

خطر الكذب على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

❖ **ثم الكذب على رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كما جاء في الحديث المتواتر، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».

✓ **والكذب على النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ليس كالكذب على غيره.

ولهذا جاء في الحديث الآخر ما نصه: عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**» متفق عليه.

وذلك؛ لأن الكاذب على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يأتي بشرع ليس من شرع الله، فلهذا كان الخطر جسيمًا.

فالذي يقول: قال رسول الله كذا، فمعناه اعبدوا الله بمضمون هذا الحديث، فالكاذب أدخل على المسلمين عبادات ما أنزل الله بها من سلطان، فلهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ**».

ولهذا كان الذين يكذبون على الله ورسوله هم شر الكذابين، حتى إن الراوي الذي يكذب على رسول الله يسقط حديثه كله، ولو صدق في خمسمائة حديث، وكذب في حديث واحد سقط حديثه كله، وإن تاب فتوبته بينه وبين الله، لكن العلماء لا يقبلون حديثه، ويقولون: لعله كذب في توبته، بينما لو كان يكذب في حديثه مع الناس فهي معصية لو تاب صحت توبته.

من أسماء الكذب

❖ **ومن أسماء الكذب، الإفك، وأصله قلب الحقائق،**

✓ **ومنه** ما جرى لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين قال أهل الإفك فيها ما قالوا، وبرأها الله عَزَّوَجَلَّ كما في سورة النور، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١١].

✓ **والذي** تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول.

❖ **قال البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: وسمي الإفك إِفْكًا لِكَوْنِهِ مَصْرُوفًا عَنِ الْحَقِّ، مِنْ قَوْلِهِمْ أَفَكَ الشَّيْءَ إِذَا قَلَبَهُ عَنْ وَجْهِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ عائشة كانت تستحق الثناء بما كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَصَانَةِ وَالشَّرَفِ فَمَنْ رَمَاهَا بِالسُّوءِ قَلَبَ الْأَمْرَ عن وجهه. انتهى.

ومن أسماء الكذب، البهتان، وهو أسوأ الكذب.

❖ قال الراغب: البهتان: الكذب، الذي يبهت سامعه لفظاعته. انتهى.

✓ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨].

❖ **قال ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ يَنْسُبُونَ إِلَيْهِمْ مَا هُمْ بُرَآءُ مِنْهُ لَمْ يَعْمَلُوهُ وَلَمْ يَفْعَلُوهُ فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا، وهذا هو البهت الكبير أَنْ يُحْكَى أَوْ يُنْقَلَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مَا لَمْ يَفْعَلُوهُ عَلَى سَبِيلِ الْعَيْبِ وَالتَّنَقُّصِ لَهُمْ. انتهى.

✓ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**» قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**» أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

أي: أن هذا المغتاب حين كان كاذبًا كان كلامه بهتانًا، وجعل المقول فيه مبهوتًا.

❖ قال في مختار الصحاح: بهت بوزن علم، أي: دهش وتحير. أهـ

أي: أنه حين قيل فيه ما ليس فيه أصيب بالدهشة والحيرة.

وعلى هذا فلا عذر لمن ذكر الآخرين بعيب فهو آثم على كل حال، إن كان صادقًا فهو غيبة، وإن كان كاذبًا فهو بهتان، وكلاهما معصية لله.

❖ ويسمى الكذب، الدجل،

وإنما يقال له ذلك إذا عظم وفحش، ولذا قيل للدجال دجالًا؛ لكذبه في زعمه أنه الله.

❖ **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري: قَوْلُهُ: بَابُ ذِكْرِ الدَّجَّالِ هُوَ فَعَّالٌ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَالتَّشْدِيدِ مِنَ الدَّجَلِ وَهُوَ التَّغْطِيَةُ وَسُمِّيَ الْكَذَّابُ دَجَّالًا لِأَنَّهُ يُغَطِّي الْحَقَّ بِبَاطِلِهِ وَيُقَالُ دَجَلَ الْبَعِيرَ بِالْقَطِرَانِ إِذَا غَطَّاهُ وَالْإِنَاءَ بِالذَّهَبِ إِذَا طَلَاهُ وَقَالَ ثَعْلَبٌ الدَّجَّالُ الْمُمَوَّهُ سَيْفٌ مدجل إِذا طلي، وَقَالَ بن دُرَيْدٍ: سُمِّيَ دَجَّالًا لِأَنَّهُ يُغَطِّي الْحَقَّ بِالْكَذِبِ... إلخ.

✓ **قال بعض الحكماء**: الخرس خير من الكذب، وصدق اللسان هو السعادة.

✓ **وقال بعضهم**: الكاذب مهان ذليل.

✓ **وقال بعضهم**: الكذب جماع كل شر، وأصل كل ذم لسوء عاقبته.

✓ **وقال بعضهم**:

وما شيء إذا فكرت فيه ... بأذهب للمروءة والجمالِ

من الكذب الذي لا خير فيه ... وأبعد للبهاء من الرجالِ

✓ **وقال بعض الحكماء**: الصدق منجيك، وإن خفته، والكذب مرديك، وإن أمنته.

✓ **وقال بعض الحكماء**: من استحلى رضاع الكذب عسر فطامه.

ومن أسباب الوقوع في الكذب: حب التخلص من المواقف المحرجة.

ومنه أيضًا: إشفاء النفس من الخصوم، فربما وقع في القذف، أو تشويه السمعة، أو التبديع، أو غير ذلك.

✓ بعضهم يحب الكذب ليسيطر على المجالس بما يأتي به من الحكايات، وتنميق الكلام فيعجب به الحاضرون، ويعجبون من كلامه.

❖ عن معاوية بن حيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَيْلٌ لِلَّذي يُحَدِّثُ فيكذِبُ ليُضْحِكَ به القومَ، وَيْلٌ له، وَيْلٌ له**» أخرجه أبو داود، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

هذا لو ألَّف من قبل نفسه، أما لو نقل عن غيره فلا يدخل في الإثم. والله أعلم.

مسألة: متى يكون الصدق حرامًا؟

إذا كان مغتابًا، أو نمامًا، أو يذكر أعماله الصالحة مراءاة للآخرين، أو مفتخرًا بها، والمجاهر بالمعصية بعد ستر الله إياه؛ فإنه عاص وإن صدق.

الحديث الخامس:

حديث: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة»

[٥] عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ثَلاَثَ مِرَارًا قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**الْمُسْبِلُ وَالْمَنَّانُ وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**». أخرجه مسلم.

ترجمة أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

❖ **قال الذهبي** في السير (٢/ ٤٦): أحد السابقين الأولين من نجباء أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قيل: كان خامس خمسة في الإسلام، ثم إنه رد إلى بلاد قومه، فأقام بها بأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ له بذلك فلما أن هاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هاجر إليه أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولازمه وجاهد معه، وكان يفتي في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان. أهـ

قصة إسلام أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

❖ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الوَادِي، فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ، الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ ائْتِنِي، فَانْطَلَقَ الأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ، فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَكَلاَمًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ، فَقَالَ: مَا شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ، فَتَزَوَّدَ، وَحَمَلَ شَنَّةً لَهُ فِيهَا مَاءٌ،

حَتَّىٰ قَدِمَ مَكَّةَ، فَأَتَىٰ المَسْجِدَ، فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّىٰ أَدْرَكَهُ بَعْضُ اللَّيْلِ، فَرَآهُ عَلِيٌّ، فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ، فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ، فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَصْبَحَ، ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَىٰ المَسْجِدِ، وَظَلَّ ذَلِكَ اليَوْمَ، وَلاَ يَرَاهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ أَمْسَىٰ، فَعَادَ إِلَىٰ مَضْجَعِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ، فَقَالَ: أَمَا نَالَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ؟ فَأَقَامَهُ فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ، لاَ يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ، فَعَادَ عَلِيٌّ عَلَىٰ مِثْلِ ذَلِكَ، فَأَقَامَ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ؟ قَالَ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنَّنِي، فَعَلْتُ، فَفَعَلَ، فَأَخْبَرَهُ، قَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ وَهُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتْبَعْنِي، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ، قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ المَاءَ، فَإِنْ مَضَيْتُ، فَاتْبَعْنِي حَتَّىٰ تَدْخُلَ مَدْخَلِي، فَفَعَلَ، فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ، حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وَدَخَلَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: ارْجِعْ إِلَىٰ قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ أَمْرِي، قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّىٰ أَتَىٰ المَسْجِدَ، فَنَادَىٰ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَامَ القَوْمُ، فَضَرَبُوهُ حَتَّىٰ أَضْجَعُوهُ، وَأَتَىٰ العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، قَالَ: وَيْلَكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ، وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إِلَىٰ الشَّامِ، فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الغَدِ لِمِثْلِهَا، فَضَرَبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ، فَأَكَبَّ العَبَّاسُ عَلَيْهِ. أخرجه البخاري.

سياق آخر لقصة إسلامه

❖ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَرَجْنَا مِنْ قَوْمِنَا غِفَارٍ، وَكَانُوا يُحِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَخِي أُنَيْسٌ وَأُمُّنَا، فَنَزَلْنَا عَلَىٰ خَالٍ لَنَا، فَأَكْرَمَنَا

خَالُنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا، فَحَسَدَنَا قَوْمُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ عَنْ أَهْلِكَ خَالَفَ إِلَيْهِمْ أُنَيْسٌ، فَجَاءَ خَالُنَا فَنَثَا عَلَيْنَا الَّذِي قِيلَ لَهُ، فَقُلْتُ: أَمَّا مَا مَضَىٰ مِنْ مَعْرُوفِكَ فَقَدْ كَدَّرْتَهُ، وَلَا جِمَاعَ لَكَ فِيمَا بَعْدُ، فَقَرَّبْنَا صِرْمَتَنَا(١)، فَاحْتَمَلْنَا عَلَيْهَا، وَتَغَطَّىٰ خَالُنَا ثَوْبَهُ فَجَعَلَ يَبْكِي، فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ نَزَلْنَا بِحَضْرَةِ مَكَّةَ، فَنَافَرَ(٢) أُنَيْسٌ عَنْ صِرْمَتِنَا وَعَنْ مِثْلِهَا، فَأَتَيَا الْكَاهِنَ، فَخَيَّرَ أُنَيْسًا، فَأَتَانَا أُنَيْسٌ بِصِرْمَتِنَا وَمِثْلِهَا مَعَهَا. قَالَ: وَقَدْ صَلَّيْتُ، يَا ابْنَ أَخِي قَبْلَ أَنْ أَلْقَىٰ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثِ سِنِينَ، قُلْتُ: لِمَنْ؟ قَالَ: للهِ، قُلْتُ: فَأَيْنَ تَوَجَّهُ؟ قَالَ: أَتَوَجَّهُ حَيْثُ يُوَجِّهُنِي رَبِّي، أُصَلِّي عِشَاءً حَتَّىٰ إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أُلْقِيتُ كَأَنِّي خِفَاءٌ، حَتَّىٰ تَعْلُوَنِي الشَّمْسُ. فَقَالَ أُنَيْسٌ: إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ فَاكْفِنِي، فَانْطَلَقَ أُنَيْسٌ حَتَّىٰ أَتَىٰ مَكَّةَ، فَرَاثَ عَلَيَّ، ثُمَّ جَاءَ فَقُلْتُ: مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: لَقِيتُ رَجُلًا بِمَكَّةَ عَلَىٰ دِينِكَ، يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ، قُلْتُ: فَمَا يَقُولُ النَّاسُ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، سَاحِرٌ، وَكَانَ أُنَيْسٌ أَحَدَ الشُّعَرَاءِ. قَالَ أُنَيْسٌ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَىٰ أَقْرَاءِ الشِّعْرِ، فَمَا يَلْتَئِمُ عَلَىٰ لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي، أَنَّهُ شِعْرٌ، وَاللهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. قَالَ: قُلْتُ: فَاكْفِنِي حَتَّىٰ أَذْهَبَ فَأَنْظُرَ، قَالَ فَأَتَيْتُ مَكَّةَ فَتَضَعَّفْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَقُلْتُ: أَيْنَ هَذَا الَّذِي تَدْعُونَهُ الصَّابِئَ؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ، فَقَالَ: الصَّابِئَ، فَمَالَ عَلَيَّ أَهْلُ الْوَادِي بِكُلِّ مَدَرَةٍ وَعَظْمٍ، حَتَّىٰ خَرَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، قَالَ: فَارْتَفَعْتُ حِينَ ارْتَفَعْتُ، كَأَنِّي نُصُبٌ أَحْمَرُ، قَالَ: فَأَتَيْتُ زَمْزَمَ فَغَسَلْتُ عَنِّي الدِّمَاءَ: وَشَرِبْتُ مِنْ مَائِهَا، وَلَقَدْ لَبِثْتُ، يَا ابْنَ أَخِي ثَلَاثِينَ، بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، مَا كَانَ لِي طَعَامٌ

---

(١) الصرمة: القطعة من الإبل.

(٢) قوله: فنافر أنيس: أي تفاخر أيهما أعظم نفرًا.

إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ حَتَّىٰ تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي، وَمَا وَجَدْتُ عَلَىٰ كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ. قَالَ فَبَيْنَا أَهْلِ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ قَمْرَاءَ إِضْحِيَانٍ، إِذْ ضُرِبَ عَلَىٰ أَسْمِخَتِهِمْ، فَمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ أَحَدٌ. وَامْرَأَتَانِ مِنْهُمْ تَدْعُوَانِ إِسَافًا، وَنَائِلَةَ، قَالَ: فَأَتَتَا عَلَيَّ فِي طَوَافِهِمَا فَقُلْتُ: أَنْكِحَا أَحَدَهُمَا الْأُخْرَىٰ، قَالَ: فَمَا تَنَاهَتَا عَنْ قَوْلِهِمَا قَالَ: فَأَتَتَا عَلَيَّ فَقُلْتُ: هَنٌ مِثْلُ الْخَشَبَةِ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَكْنِي فَانْطَلَقَتَا تُوَلْوِلَانِ، وَتَقُولَانِ: لَوْ كَانَ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ أَنْفَارِنَا قَالَ فَاسْتَقْبَلَهُمَا رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ، وَهُمَا هَابِطَانِ، قَالَ: «**مَا لَكُمَا؟**» قَالَتَا: الصَّابِئُ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَأَسْتَارِهَا، قَالَ: «**مَا قَالَ لَكُمَا؟**» قَالَتَا: إِنَّهُ قَالَ لَنَا كَلِمَةً تَمْلَأُ الْفَمَ، وَجَاءَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ اسْتَلَمَ الْحَجَرَ، وَطَافَ بِالْبَيْتِ هُوَ وَصَاحِبُهُ، ثُمَّ صَلَّىٰ فَلَمَّا قَضَىٰ صَلَاتَهُ - قَالَ أَبُو ذَرٍّ - فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، قَالَ فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله فَقَالَ: «**وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ**» ثُمَّ قَالَ «**مَنْ أَنْتَ؟**» قَالَ قُلْتُ: مِنْ غِفَارٍ، قَالَ: فَأَهْوَىٰ بِيَدِهِ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَىٰ جَبْهَتِهِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَرِهَ أَنِ انْتَمَيْتُ إِلَىٰ غِفَارٍ، فَذَهَبْتُ آخُذُ بِيَدِهِ، فَقَدَعَنِي صَاحِبُهُ، وَكَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**مَتَى كُنْتَ هَاهُنَا؟**» قَالَ قُلْتُ: قَدْ كُنْتُ هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، قَالَ: «**فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟**» قَالَ قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ فَسَمِنْتُ حَتَّىٰ تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي، وَمَا أَجِدُ عَلَىٰ كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ، قَالَ: «**إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ الله ائْذَنْ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ، وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، فَفَتَحَ أَبُو بَكْرٍ بَابًا، فَجَعَلَ يَقْبِضُ لَنَا مِنْ زَبِيبِ الطَّائِفِ وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا، ثُمَّ غَبَرْتُ مَا غَبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِي أَرْضٌ ذَاتُ**

نَخْلٍ، لَا أُرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ، فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ عَسَى اللهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ» فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، قَالَ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَأَتَيْنَا أُمَّنَا، فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ وَكَانَ يَؤُمُّهُمْ أَيْمَاءُ بْنُ رَحَضَةَ الْغِفَارِيُّ وَكَانَ سَيِّدَهُمْ. وَقَالَ نِصْفُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا، فَقَدِمَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي وَجَاءَتْ أَسْلَمُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله إِخْوَتُنَا، نُسْلِمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمُوا عَلَيْهِ، فَأَسْلَمُوا، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**غِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ**» أخرجه مسلم.

❖ **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح البار ي (٧/ ١٧٤) بعد ذكر البخاري للحديث في قصة إسلام أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ قِصَّةَ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ الصَّامِتِ عَنْهُ وَفِيهَا مُغَايَرَةٌ كَثِيرَة لسياق بن عَبَّاسٍ وَلَكِنَّ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا مُمْكِنٌ. أهـ

❖ **وقال الحافظ** أيضًا: قَوْلُهُ فَرَآهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قِصَّةَ أَبِي ذَرٍّ وَقَعَتْ بَعْدَ الْمَبْعَثِ بِأَكْثَرَ مِنْ سَنَتَيْنِ بِحَيْثُ يَتَهَيَّأُ لِعَلِيٍّ أَنْ يَسْتَقِلَّ بِمُخَاطَبَةِ الْغَرِيبِ وَيُضَيِّفُهُ فَإِنَّ الْأَصَحَّ فِي سِنِّ عَلِيٍّ حِينَ الْمَبْعَثِ كَانَ عَشْرَ سِنِين وَقيل أقل من ذَلِك وَهَذَا الْخَبَرُ يُقَوِّي الْقَوْلَ الصَّحِيحِ فِي سِنِّهِ.

❖ قوله: في رواية عبد الله بن الصامت، ثم غبرت ما غبرت، يدل على أنَّ أبا ذرٍّ قدم قدمتين:

الأولى: التي بعد المبعث بقليل، **والثانية**: قبل الهجرة. والله أعلم.

❖ **قال الحافظ**: قَوْلُهُ: لَأَصْرُخَنَّ بِهَا أَيْ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يَرْفَعُ صَوْتَهُ جِهَارًا بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَكَأَنَّهُ فَهِمَ أَنَّ أَمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَهُ بِالْكِتْمَانِ لَيْسَ عَلَى الْإِيجَابِ بَلْ عَلَى سَبِيلِ الشَّفَقَةِ عَلَيْهِ فَأَعْلَمَهُ أَنَّ بِهِ قُوَّةً عَلَى ذَلِكَ وَلِهَذَا أَقَرَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ وَيُؤْخَذ مِنْهُ جَوَازُ قَوْلِ الْحَقِّ عِنْدَ مَنْ يُخْشَى مِنْهُ الْأَذِيَّةُ لِمَنْ قَالَهُ وَإِنْ كَانَ السُّكُوتُ جَائِزًا وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ ذَلِكَ مُخْتَلِفٌ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَالْمَقَاصِدِ وَبِحَسَبِ ذَلِكَ يَتَرَتَّبُ وُجُودُ الْأَجْرِ وَعَدَمِهِ. أهـ

❖ **قال الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ في السير: مات سنة اثنتين وثلاثين، ويقال إن ابن مسعود هو الذي دفنه، عاش بعده نحوًا من عشرين يومًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

❖ **وقال**: له مائتا حديث وواحد وثمانون حديثًا (٢٨١) اتفقا منها على اثني عشر حديثًا، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بتسعة عشر. أهـ

فيكون مجموع ما في الصحيحين ثلاثة وثلاثين حديثًا.

❖ عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ وَلَا أَوْفَى مِنْ أَبِي ذَرٍّ شِبْهِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**» أخرجه الترمذي، وحسنه الألباني.

ظهر لنا من كلام العباس أن غفارًا على طريق المسافرين من مكة إلى الشام، لكن ذكر بعض المؤرخين: أن قبيلة غفار ذابت في قبيلة جذيمة، أي: أنك لا تجد من ينتسب الآن إلى غفار، ومن كان بقي منهم ـ إن بقي ـ فينتسب إلى جذيمة، فيقال له: الجذامي.

شرح الحديث

❖ **قوله: (يكلمهم الله)** أي كلام رحمة؛ لأنه قد ورد أن الله يكلم الكفار كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس:٦٠].

✓ **وقوله:** ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨].

✓ **وقوله: (لا ينظر إليهم)** أي: نظر رحمة؛ لأن الله لا يغيب عن نظره شيء.

✓ **وقوله: (لا يزكيهم)** أي: لا يطهرهم من الذنوب.

✓ **قوله: (ثلاث مرات)** أي: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كرر هذا ثلاث مرات، تأكيدًا، وتحذيرًا من هذه المعاصي.

✓ **قول** أبي ذرٍّ: (خابوا وخسروا) دعوتان أقره عليهما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فاجتمع لهم خمس:

١- لا يكلمهم الله،

٢- ولا ينظر إليهم،

٣- ولا يزكيهم،

٤- وخابوا

٥- وخسروا.

تحريم الإسبال

✓ **قوله: (المسبل)** أي: إزاره، ويلحق بذلك الثوب، والجبة، والبشت، والسراويل.

❖ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَفِي إِزَارِي اسْتِرْخَاءٌ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، ارْفَعْ إِزَارَكَ، فَرَفَعْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: زِدْ، فَزِدْتُ، فَمَا

زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ. فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: إِلَى أَيْنَ؟ فَقَالَ: أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ. أخرجه مسلم.

✓ وهذا محمول على الاستحباب كما جاء عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِزْرَةُ الْمُسْلِمِ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَلَا حَرَجَ أَوْ لَا جُنَاحَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ، فَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ فَفِي النَّارِ، مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ**». أخرجه أبو داود بإسناد صحيح (قاله النووي).

✓ وادعى بعضهم أن التحريم لا يكون إلا إذا كان الإسبال بقصد الخيلاء، واستدلوا بحديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ ثَوْبِي يَسْتَرْخِي، إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ خُيَلَاءَ**» أخرجه البخاري، ومسلم بعضه.

والجواب عن هذا:

أولًا: إن هذه تزكية لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خاصة.

ثانيًا: إن أبا بكر كان يتعاهده إذا استرخى، فهل ينطبق هذا مع من يتحرى إنزاله، ويتعمده، أو يشترط على الخياط أن يجعل المقاس تحت الكعبين.

وعلى هذا فإن الإسبال محرم إذا كان بدون خيلاء، وهو مع الخيلاء أشد إثمًا، كما تقدم في حديث أبي سعيدٍ حيث ذكر تحريم الإسبال، ثم ذكر جره بطرًا، وكما في حديث جابر بن سليم عند أبي داود، وفيه: «**وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ المَخِيلَةِ وَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ**

الْمَخِيلَةَ». أهـ

فمعناه أن الإسبال من لبس أهل المخيلة، فإن لم يقصد المخيلة، فظاهره ظاهرهم، وإن قصد المخيلة، فقد وقع في المخيلة ظاهرًا وباطنًا.

تحريم المَنّ

❖ قوله: (**والمنَّان**)، المنان: هو الذي يمن على الناس بما أعطى وأكثر من ذلك حتى صار خلقًا له، فقال: المنَّان، فاستحق عقوبتين:

إحداهما: ما في هذا الحديث.

والثانية: بطلان صدقته،

✓ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٤]؛ لأنه كان المطلوب أن تحمد الله الذي وفقك للعطاء، سواء كان هدية أم صدقة، وسله القبول،

✓ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٦٢].

❖ **قال ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري: قَالَ الْقُرْطُبِيُّ الْمَنُّ غَالِبًا يَقَعُ مِنَ الْبَخِيلِ وَالْمُعْجَبِ فَالْبَخِيلُ تَعْظُمُ فِي نَفْسِهِ الْعَطِيَّةُ وَإِنْ كَانَتْ حَقِيرَةً فِي نَفْسِهَا وَالْمُعْجَبُ يَحْمِلُهُ الْعُجْبُ عَلَى النَّظَرِ لِنَفْسِهِ بِعَيْنِ الْعَظَمَةِ وَأَنَّهُ مُنْعِمٌ بِمَالِهِ عَلَى الْمُعْطَى وَإِنْ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَمُوجِبُ ذَلِكَ كُلِّهِ الْجَهْلُ وَنِسْيَانُ نِعْمَةِ اللهَّ فِيمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ وَلَوْ نَظَرَ مَصِيرَهُ لَعَلِمَ أَنَّ الْمِنَّةَ لِلْآخِذِ لِمَا يَتَرَتَّبُ لَهُ مِنَ الْفَوَائِدِ. انتهى.

قوله: «وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ»

❖ **قوله:**«**وَالْمُنَفِّقُ**» هو بفتح النون، والفاء مشدّدةٌ. و«**سِلْعَتَهُ**» بكسر السين، وسكون اللام: البِضَاعة، جمعها سِلَعٌ. وقوله: «**بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**» "الحَلِفُ": بكسر اللام، وإسكانها. قاله النوويّ.

❖ والحلف الكاذب معصية كبيرة لأنه أدخل اسم الله لتمرير الباطل.

✓ قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ ﴾ [النحل: ٩١]

فالذي يحلف كأنه يقول الله كفيل علي أن الأمر كما أقول.

❖ واليمين الكاذبة هي اليمين الغموس،

✓ عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، مَا الكَبَائِرُ؟

قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ**»

قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**»

قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**اليَمِينُ الغَمُوسُ**»

قَالَ: قُلْتُ: وَمَا اليَمِينُ الغَمُوسُ؟

قَالَ: «**الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ**» رواه البخاري

❖ وفيه أيضا أنه أكل مالا محرما

لأن السلعة لو كانت تساوي مثلا ألف ريال ثم باعها باليمين الكاذبة بألف وخمسمائة، فهذه الخمسمائة الزائدة مالٌ حرام دخل عليه.

✓ وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ**» . رواه أحمد

❖ ثم إن هذا غش للمسلمين.

✓ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟**»

قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ الله،

قَالَ: «**أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**» رواه مسلم

فهذا الوعيد على الغش ليس فيه يمين مع الذي في الطعام شيء من ماء السماء لا أنه أصابته نجاسة.

❖ فهذه ثلاث كبائر تضمنها هذا العمل الشنيع وهو **إنفاق السلعة بالحلف الكاذب**

❖ وفيه أيضا محق البركة،

✓ وعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**» متفق عليه.

✓ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ**» متفق عليه ولفظ مسلم: «**مَمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ**» وفي رواية لأبي داود والنسائي «**مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ**»

❖ وفيه مفاسد أخرى:

✓ كانعدام الثقة بين البائع والمشتري،

✓ والسب، واللعن،

فإنه حين يكتشف المشتري أن البائع قد غشه، وإن كان اللعن محرما، لكن كثيرا من الناس يشفي غليله ولو بالحرام.

والمقصود: أن المنفق سلعته بالحلف الكاذب عرض نفسه لأن يُسَبّ

✓ وربما شتموا أباه وأمه.

✓ والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول «**مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ**» وفي رواية: «**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**» متفق عليه عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

أي أنه تسبب في سب أبيه وأمه، وهذا قد تسبب في سب أبيه وأمه.

نسأل الله السلامة.

❖ قال الطِّيبيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إنما جمع بين الثلاثة، وقرنها؛

✓ لأن المسبل هو المتكبّر المرتفع بنفسه على الناس، ويحتقرهم،

✓ والمنّان إنما منّ بعطائه لما رأىٰ من علوّه على المُعْطَىٰ له،

✓ والحالف البائع يُراعي غِبْطة نفسه، وهَضْمَ صاحب الحقّ،

فتحصّل من المجموع احتقار الغير، وإيثار النفس، ولذلك يجازيهم الله تعالىٰ باحتقاره لهم، وعدم التفاته إليهم، كما يُلوّح به قوله: "ولا يُكلّمهم". انتهىٰ.

الحديث السادس:

حديث: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»

[٦] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري.

شرح الحديث

❖ تقدمت ترجمة أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في الحديث الأول.

الحديث القدسي والفرق بينه وبين القرآن

❖ هذا الحديث من الأحاديث القدسية التي يرويها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن ربه عَزَّوَجَلَّ، وهي تعتبر من كلام الله عَزَّوَجَلَّ، إلا أنها ليست كالقرآن الكريم، ولا يصح أن يقرأ بها المصلي في صلاته، ومنها ما يكون صحيحًا، ومنها ما يكون حسنًا، ومنها ما يكون ضعيفًا، ومنها المتواتر والآحاد، بخلاف القرآن الكريم فكله متواتر.

وهناك عدة فوارق ذكرها العلماء في الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم.

قوله: «من عادى لي وليًا»

❖ المعاداة، الظلم الصريح في أمر ديني، أو دنيوي، ولا تصدر ضد ولي الله، إلا من رجل عاص ظالم بعيد عن الله؛ لأن ولي الله يستحق أن يُحَبَّ، لا أن يعادىٰ!

✓ ومعاداة أولياء الله ناتجة عن بغض لولي الله في القلب فينتج عن ذلك أن من عاداهم لا ينصفهم من نفسه، ولا يريد أن ينصفهم غيره، بل متىٰ قدر أن يوصل إليهم شرًا أوصله.

✓ ومعاداة أولياء الله لا تأتي غالبًا، إلا من عاص مظهر لفسقه، أو مبتدع ضال، وربما كان من ضلاله شركيات وكفريات كالسحرة وسدنة القبور، ومن كان علىٰ عقائدهم.

❖ ومن عادىٰ أولياء الله إنما يلحق بنفسه الضرر، وتفسد دنياه، وآخرته؛ لأن خصمه الحقيقي رب العالمين،

✓ لقوله في هذا الحديث: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**».

✓ وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٩].

✓ وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨].

❖ ومعاداة أولياء الله تكون بإضمار البغض الناتج عنه إيصال الأذية إليه في نفسه، أو أهله، أو ولده، أو ماله، أو التحريض عليه، أو الفرح بما أصابه من شر،

❖ وليس داخلًا في ذلك استخراج الحقوق مع سلامة الخاطر،

✓ فإن أبغض صالحًا بغير حق شرعي، ولم يتعرض له بأذىٰ فقد أخل بباب الولاء والبراء، وأدلة الحب في الله، والبغض في الله، ولعله ترك الأذية عجزًا، وهذا يكبته الله، ويرد الله كيده في نحره، ويدفع الله عن أوليائه،

✓ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨]

تفسير الوليّ

❖ قوله: **(من عادى لي وليًا)**، المراد بالولي من جمع بين الإيمان والتقوى،

✓ قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

✓ وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨].

✓ وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٩].

✓ وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧].

❖ وفي هذا **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من كان مؤمنًا تقيًا، كان لله وليًا. أهـ

❖ ومثله قال ابن كثير في تفسير الآية ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس:٦٢-٦٣]: ولي الله هو الذي آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، فصلح باطنه، وهو الذي عمل بطاعة الله وترك معصية الله فصلح ظاهره.

✓ ولي الله أنفع الناس للناس؛ لأنه ما وصل إلى هذه المرتبة، إلا وقد ترك الحقد والضغينة والحسد والبغضاء والكراهية بغير حق، لا يريد للناس إلا الخير، وما وصل إلى هذه المنزلة إلا بعد أن ترك المعاصي الظاهرة، فهو بارٌّ بوالديه، وصول لرحمه، حسن الجوار، سلمت منه دماء الناس، وأعراضهم، وأموالهم،

يحب المسلمين صغارًا وكبارًا، يوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم، ويحب أن تتحقق مصالحهم الدينية والدنيوية.

✓ وباختصار، فإن أولياء الله شغلوا حياتهم بتحقيق شعب الإيمان في أنفسهم وفي غيرهم، كما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري: «**الإيمان بضع وستون شعبة**»، وعند مسلم: «**بضع وسبعون شعبة**...» الحديث.

✓ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣].

❖ قال **الحسن البصري** رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا حَبِيبُ اللهِ، هَذَا وَلِيُّ اللهِ، هَذَا صَفْوَةُ اللهِ، هَذَا خِيرَةُ اللهِ، هَذَا أَحَبُّ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى اللهِ، أَجَابَ اللهَ فِي دَعْوَتِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ اللهُ فِيهِ مِنْ دَعْوَتِهِ، وَعَمِلَ صَالِحًا فِي إِجَابَتِهِ، وقال: إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا خَلِيفَةُ اللهِ. أهـ

✓ هذا هو المفهوم السلفي لمعنى الولي، وعليه تدل أدلة الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح رحمة الله عليهم، خلافًا لمن يرى أن الوَلاية في السلالة النبوية لا غير، ويتوارثونها أبًا عن جد.

الاعتقادات الفاسدة في الوليّ

✓ والجهل كثير من الناس فلا يستطيعون التفريق بين ولي الرحمن، وولي الشيطان، فربما اعتقدوا في الساحر أنه ولي لله، ونحو ذلك.

✓ وهكذا يعتقدون في الولي أنه يشفي المرضى، ويُوجِدُ الأجنةَ في بطون الأرحام، وأنه يعلم الغيوب الماضية والمستقبلية فيسألونه عن المفقودات، والضائعات، وعن مستقبل حياتهم، وأرزاقهم في المستقبل، وغير ذلك مما لا يعلمه ولا يقدر عليه إلا الله، وإن كان ميتًا تمسحوا بقبره، وأكلوا من ترابه، ودعوه من

دون الله، وطافوا بقبره، وذبحوا الذبائح تقربًا إليه، ونذروا له النذور، وخافوه بالغيب كما يخافون من الله أو أشد.

❖ وبعد هذا فقد عرفنا أن ولي الله من جمع بين الإيمان والتقوىٰ، فهذا هو الولي الذي توعد الله من يعاديه بالمحاربة كما قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ : «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**».

✓ وفي رواية: «**فقد بارزني بالمحاربة**».

✓ وقوله: «**فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**»، معنىٰ آذنته أعلمته، ومحاربة الله للعبد بأمور كثيرة، أعظمها إهلاك الله للعبد، فما يحصل للعاصي المحارب لله من كساد في التجارة، أو حريق في متجر، أو منزل، أو غيره، أو بتسليط خصوم فهو من محاربة الله له، وقد يُسَلِّطُ عليه من يضربه، أو يهينه، أو تزني زوجته، أو ابنته، أو يبتلي هو بالفواحش، أو غيرها من المعاصي كل ذلك من محاربة الله فتراه ينتقل من سقطة إلىٰ أخرىٰ، كل هذا من حرب الله، عقوبة علىٰ معاداة أولياء الله.

❖ وعرفنا مما مضىٰ أن أولياء الله من جمعوا بين الإيمان والتقوىٰ،

✓ وليسوا سلالة نسبية كسلالة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أو غيره،

✓ ولا يلزم من كون الرجل وليًا لله، أو المرأة ولية لله، أن يكون أبناؤهم، أو بناتهم كذلك، فولاية الله لا تورث، إنما هي مرتبة لمن جمع بين الإيمان والتقوىٰ،

❖ وأولياء الله لا يُدعون من دون الله، سواء كانوا أحياء، أو أمواتًا، ولا يطلب منهم ما لا يقدرون عليه، مما لا يطلب، إلا من الله، ولا تبنىٰ القباب علىٰ قبورهم، بل ولا تميز قبورهم عن قبور غيرهم، ولا يجوز التمسح بتراب قبورهم، بل نقول لمن أحبهم، ادع لهم بالمغفرة والرحمة، ومن أحبهم اتبعهم في الإيمان

والتقوىٰ الذي كانوا عليه في حياتهم، لعل الله أن يجمعه بهم في الجنة.

ذكر الله بعد هذا التقرب إليه بالفرائض، ثم بالنوافل؛ ليبين أن نيل وَلايته لا تكون إلا بالتقرب إلىٰ الله بعبادته، والتقرب إليه بالعمل بشرعه الذي شرعه في كتابه، أو علىٰ لسان رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فمن ابتغىٰ ولاية الله بغير هذا المنهج الرباني، فهيهات الوصول إلىٰ ذلك.

فضل الفرائض ووجوب تقديمها على النوافل

❖ وقوله تعالىٰ: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**».

✓ دليل علىٰ أن الفرائض أفضل من النوافل، والكل مطلوب،

✓ ويظهر أهمية ذلك عند التزاحم، كمن يقوم الليل بصلاة، أو تلاوة للقرآن، ثم يفرط في صلاة الفجر، فينام عنها، أو يتخلف عن الجماعة، أو يصليها وهو كسلان(١).

✓ أو فرط في بر والديه بسبب انشغاله بأعمال بر مستحبة كما جرىٰ لجريج حين نادته أمه ثلاثة أيام، تتردد عليه، وهو يقول: اللهم أمي وصلاتي، ولم يجبها فدعت عليه، فاستجاب الله لها.

---

(١) هذا ومن الناس من تشغلهم معصية الله عن طاعة الله كمن يسهر علىٰ متابعة القنوات، أو الانترنت يشاهدون الأفلام المحرمة، أو يسمر مع أصحابه، ويضيع صلاة الفجر، أو كمن يعبث بماله فيما حرم الله، ثم يعجز بعد ذلك في بر والديه، أو صلة الرحم الذي أوجب الله عليه، فإذا كان لا يُقبل من العبد أن يشغله مستحب عن واجب، فكيف بمن يشغله محرم عن واجب.

نسأل الله أن يفقهنا في الدين، وأن يجعلنا من عباده الصالحين.

✓ وكمن كان لديه مال ليحج به حجة الإسلام ليس عنده غيره فذهب يتصدق به، أو نذر أن يصلي ركعات معدودة فأداؤها أفضل من تلاوة القرآن، أو ذكر الله، وما شابه ذلك.

✓ وقوله: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**»، هذا يشمل فعل الواجبات، وترك المحرمات؛ لأن ترك المحرمات مما افترض الله تعالى.

❖ **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتح (١١/ ٣٤٣): وَفِي الْإِتْيَانِ بِالْفَرَائِضِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ امْتِثَالُ الْأَمْرِ وَاحْتِرَامُ الْآمِرِ وَتَعْظِيمُهُ بِالِانْقِيَادِ إِلَيْهِ وَإِظْهَارُ عَظَمَةِ الرُّبُوبِيَّةِ وَذُلِّ الْعُبُودِيَّةِ فَكَانَ التَّقَرُّب بذلك أعظم الْعَمَل. انتهى.

✓ ومن دسائس الشيطان أنه ربما حبب إلى العابد فعل النوافل والعناية بها والخشوع فيها مع الإهمال في الفرائض، والمطلوب هو العناية بالفرائض والنوافل، وتكون العناية بالفرائض آكد، وأكثر.

بيان فضل النوافل وأنها من أسباب محبة الله للعبد

✓ وقوله: «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**».

هذا واحد من الأسباب التي تجعل العبد محبوبًا لله، وهذا غاية المطلوب، فمن خرج من الدنيا، وهو محبوب لله كان من أهل الجنة، وأمن من العذاب، وباب النوافل مفتوح لا يعجز عنه عالم ولا جاهل ولا صحيح ولا مريض ولا غني ولا فقير ولا رجل ولا امرأة.

✓ قوله: «**حَتَّى أُحِبَّهُ**» أي: حبًا عظيمًا؛ لأنه قد أحبه بفعل الواجبات، قبل فعله للنوافل.

✓ قوله: «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**» المراد بالنوافل الأعمال الظاهرة كنوافل الصلاة والصيام والصدقة والحج وذكر الله وغيره، وكذلك أعمال القلوب كالزهد في الدنيا، والخشوع في الصلاة والصبر والرضا وغير ذلك فما من هذه الأمور أمر إلا وفيه فرض ونافلة.

✓ قوله: «**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ...**» إلخ.

معناه أن الله يسدد أعضاءه كلها فلا تكون إلا في مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ، وهو معنى ما في حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**احفظ الله يحفظك**»، وهذه كرامة من الله لعبده المؤمن، حيث أن كثيرًا من الناس يلعب بهم شياطين الجن والإنس لما يصدر عنهم من أعمال سيئة، وهذا محفوظ بحفظ الله، موفق بتوفيق الله، لما يحصل منه من أعمال صالحة.

من كرامة الله للولي أنه مستجاب الدعاء

✓ قوله: «**وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ...**» إلخ.

هذه هي الكرامة الثانية، وذلك أن يجعله الله مستجاب الدعوة، فيطلب من الله ما يشاء من أعلى مطلوب وهو رضا الله، والفردوس الأعلى، إلى أدنى مطلوب كالملح على طعامه ونحو ذلك.

فالدنيا بما فيها لا تساوي جزءًا يسيرًا من هذه المكرمة، فهؤلاء أولياء الله حقًا.

فهنيئًا لمن منَّ الله عليهم بذلك، وبؤسًا للمحرومين الذين حالت بينهم وبين هذا الثواب شهوات مسموعة، أو منظورة، أو مأكولة، أو مشروبة، أو غير ذلك.

✓ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤].

فالحياة الحقيقية هي في الاستجابة لله وللرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بفعل الفرائض والنوافل التي بها صلاح القلوب والأعضاء.

نسأل الله التوفيق، والسداد، والهداية إلى سبيل الرشاد.

فائدة

❖ **ذكر** النووي هذا الحديث في رياض الصالحين:

✓ في باب المجاهدة برقم (١٠٠)، ومراده بذلك أن نيل مرتبة الولاية، وأن القيام بالفرائض والنوافل لا بد فيه من مجاهدة للنفس، إذ لا ينال هذا باللهو واللعب، وما أحسن قول القائل:

خذوا بالجد فيها واستجيبوا ... فما بالعجز يدرك ما يرام

✓ وذكره في باب علامات حب الله للعبد برقم (٣٩٤)، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، أن الله يُحِبُّ، ويُحَبُّ، يحب أولياءه، ويحبه أولياؤه.

✓ وأورده في باب إيذاء الصالحين برقم (٣٩٧) لقوله فيه: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**».

❖ وأورده البخاري في باب التواضع من كتاب الرقاق، وذلك؛ لأن من عمل بالنوافل بعد الفرائض أكسبه ذلك الصفات الحميدة والأخلاق المرضية، ومنها التواضع.

من كرامة الله للولي أن الله يعيذه إذا استعاذ به

✓ قوله: «**ولئن استعاذ بي لأعيذنه**»:

هذه مكرمة أخرى، وهذا من رعاية الله لأوليائه، فما أكثر الشرور والمصائب التي قد يتعرض لها العبد، فيلجأ إلى الله تعالى فيصرفها عنه.

والأشياء التي يحتاج العبد إلى الاستعاذة بالله منها كثيرة، أعظمها:

- نار جهنم،
- ومنها عذاب القبر،
- والحشر،
- وسوء الخاتمة،
- والاستعاذة من شياطين الإنس والجن،
- وشرور النفوس، وهواها،
- والاستعاذة من الوحوش، والهوام، وطوارق الليل والنهار،
- والاستعاذة من الفتن ما ظهر منها وما بطن،
- والاستعاذة من الشرك والكفر والنفاق ومساوئ الأخلاق
- والاستعاذة من الأعداء ومن مكر الماكرين، وكيد الكائدين،
- ومن جميع الأعداء في الدنيا والدين من كفار ومنافقين ومبتدعة وعصاة وغيرهم.

من كرامة الله للمؤمن أن الله يكره مساءته

❖ قوله: «**ما ترددت...**» إلخ.

بين الله التردد بقوله: «**يكره الموت، وأنا أكره مساءته**»، ومعنى ذلك أن المؤمن يكره الموت، والله يكره الموت للمؤمن؛ لأن المؤمن يكره الموت، ويسوؤه، ولا بد للمؤمن من الموت فسمى الله ذلك ترددًا.

الحديث السابع:

حديث: «لعلك ترزق به»

[٧] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ**».

أخرجه الترمذي.

ترجمة أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام أبو حمزة.

❖ قال **فيه الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ في السير: الإِمَامُ، المُفْتِي، المُقْرِئُ، المُحَدِّثُ، رَاوِيَةُ الإِسْلاَمِ، أَبُو حَمْزَةَ الأَنْصَارِيُّ، الخَزْرَجِيُّ، النَّجَّارِيُّ، المَدَنِيُّ، خَادِمُ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

❖ قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المدينة، وأنا ابن عشر سنين ومات وأنا ابن عشرين، وكن أمهاتي يحثثنني على خدمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

❖ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ، فَأَتَتْهُ بِتَمْرٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: «**أَعِيدُوا سَمْنَكُمْ فِي سِقَائِهِ، وَتَمْرَكُمْ فِي وِعَائِهِ، فَإِنِّي صَائِمٌ**» ثُمَّ قَامَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ البَيْتِ، فَصَلَّى غَيْرَ المَكْتُوبَةِ، فَدَعَا لِأُمِّ سُلَيْمٍ وَأَهْلِ بَيْتِهَا، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي خُوَيْصَّةً، قَالَ: «**مَا هِيَ؟**»، قَالَتْ: خَادِمُكَ أَنَسٌ، فَمَا تَرَكَ خَيْرَ آخِرَةٍ وَلاَ دُنْيَا إِلَّا دَعَا لِي بِهِ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالًا وَوَلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ**

فِيهِ»، فَإِنِّي لَمِنْ أَكْثَرِ الأَنْصَارِ مَالًا، وَحَدَّثَتْنِي ابْنَتِي أُمَيْنَةُ: أَنَّهُ دُفِنَ لِصُلْبِي مَقْدَمَ حَجَّاجِ البَصْرَةَ بِضْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةٌ. أخرجه البخاري.

❖ **قال موسى بن أنس**: غزا أنس ثمان غزوات.

❖ وقال **أبو هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما رأيت أحدًا أشبه بصلاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من ابن أم سليم ـ يعني أنسًا ـ.

❖ **وقال أنس بن سيرين**: كان أنس أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر.

✓ وروىٰ الأنصاري عن أبيه عن ثمامة قال: كان أنس يصلي حتىٰ تفطر قدماه دمًا مما يطيل القيام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

✓ وعن ثابت البناني، قال: جاء قيم أرض أنس فقال: عطشت أرضك، فتردىٰ أنس ثم خرج إلىٰ البرية، ثم صلىٰ ودعا فثارت سحابة وغشيت أرضه ومطرت حتىٰ ملأت صهريجه، وذلك في الصيف فأرسل بعض أهله، فقال: انظر، أين بلغت فإذا هي لم تعد أرضه إلا يسيرًا.

✓ وروىٰ نحوه الأنصاري عن أبيه عن ثمامة.

❖ **قال الذهبي**: قلت: هذه كرامة ثبتت بإسنادين.

❖ ولد قبل الهجرة بتسع سنين، وتوفي سنة ثلاث وتسعين، فيكون عمره حين توفي مائة وثلاث سنين، وهو آخر الصحابة موتًا بالبصرة.

❖ روىٰ له البخاري ومسلم مائة وثمانين (١٨٠)، وانفرد البخاري بثمانين (٨٠)، ومسلم بتسعين (٩٠) فيكون مجموع ما في الصحيحين (٣٥٠)، ومجموع حديثه (٢٢٨٦) في الصحيحين وغيرهما.

❖ **قال أيوب عن أبي قلابة عن أنس**: شهدتُ مع النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

الحديبية، وعمرته، والحج، والفتح، وحنينًا، والطائف.

شرح الحديث

❖ **قوله**: كان أحدهما يأتي النبيَّ: أي لطلب العلم.

(وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ)، أي: يعمل ويكتسب وينفق من كسبه ذلك على نفسه وعياله، وعلى أخيه الذي قد فرغ نفسه لطلب العلم عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

❖ قوله: فشكى المحترف أخاه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أي: أنه لا يشاركه في الاكتساب والنفقة.

❖ قوله: «**لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ**»، أي: جزاء نفقتك عليه، وإحسانك إليه، وسد حاجته.

❖ في هذ الحديث: بيان عظمة دور العلماء وطلبة العلم، وأن ما يقومون به، شأنه عظيم؛ لأن أمور الدنيا والدين، لا تقوم إلا بالعلم.

✓ قال الله في شأن الحاكم المستوفي شروط الولاية: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة:٢٤٧].

✓ كذلك أمور الدماء، والأموال، والفروج، والحقوق، والجهاد، والعبادات، والمعاملات، وكل شؤون الحياة متعلقة بالعلم.

✓ والعالم هو الذي يفصل في ذلك ويبين للناس ما يحتاجون إليه، ويفتيهم فيما أشكل عليهم في ذلك، وإليه المرجع في بيان الحق من الباطل بعد انقطاع الوحي،

❖ والعلماء هم الأئمة والخطباء والوعاظ والمعلمون والدعاة إلى الله

والمربون والناشرون للخير في وسط الأمة،

✓ وهم حملة رسالة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ والمبلغون عنه وحملة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ،

قال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩].

✓ بهم نطق القرآن وبه نطقوا،

✓ فالرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يعلم ما يقوم به هذا الرجل في طلبه للعلم، وأنه يهيئ نفسه لأمرٍ عظيم، ومهمة كبرىٰ، وكأنه يقول للمحترف احمد ربك أن جعلك تصرف جزءًا من مالك لإنجاح هذه المهمة العظيمة بنفقتك علىٰ أخيك.

❖ ثم إن صاحب المال مشكور علىٰ ما يبذل،

✓ فكم من أناسٍ أعطاهم الله مالًا، ولم يوفقوا في نفقته، فكم من ثروات هائلة لا يستفيد الإسلام منها شيئًا، بل ربما صرف أناس أموالهم في نصرة الباطل من بدع ومعاصي، بل وشرك. نسأل الله السلامة.

✓ ولو قارنا بين ما بذل صاحب المال، وما بذل صاحب العلم؛

لوجدنا أن صاحب العلم بذل أعظم مما بذل صاحب المال،

إذ إن صاحب العلم قد بذل عمره لطلب العلم ونشره والعمل به،

وذاك بذل عمره للزراعة والاحتراف والاكتساب، وأعطىٰ جزءًا من ذلك للدين، بما أنفق علىٰ أخيه، والباقي صرف في مصالحه الخاصة، وإن كان في أمور مباحة، لكن الفرق كبير بين من بذل عمره للدين، ومن بذل عمره للطين،

❖ **وهذه المقارنة بين أهل العلم ومن وفقوا للخير من أهل الأموال،**

أما من لم يوفقوا، بل صرفوا أموالهم في نصرة الباطل فهؤلاء لا ذكر لهم في

باب المقارنة فهم أبعد من ذلك، والله الموفق.

حاجة طالب العلم وغيره إلى التوكل على الله

❖ ثم إن إقرار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لطالب العلم على تفرغه لطلب العلم وترك الاحتراف يعتبر أمرًا لطالب العلم بالتوكل على الله في أمور دنياه، ولهذا فقد ذكر الترمذي هذا الحديث في باب التوكل وتبعه على ذلك النووي في رياض الصالحين رَحِمَهُمَا اللَّهُ تعالى

فلا بد أن يتوكل طالب العلم على الله، ويندفع بعزيمة قوية لا تقبل التراجع ولا التشكيك، فإن الجاهلين يرون أنه قد حطم مستقبله حين تفرغ لطلب العلم، والواقع أنه هو المحافظ على مستقبله.

فالمستقبل الحقيقي في الدار الآخرة، أما الدنيا فقد ضمنها الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٢-٣].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**»(١).

ومع هذا فلينبذ طالب العلم التنعم والترفه، وليصبر على قلة ذات اليد، ومن نظر في سير العلماء وجدهم فقراء، إلا القليل النادر، ومن تعلق قلبه بالتنعم في مطعمه ومشربه وملبسه لا أظنه سيستمر على طلب العلم، إلا أن يشاء الله، والله أعلم.

❖ وخلاصة الأمر، إن شأن الإسلام عظيم، فلا بدَّ من أعمار بكاملها تبذل

---

(١) أخرجه أحمد عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

للحفاظ على دين الإسلام، وأعظم ذلك، العلم، ومن بذل عمره للحفاظ على دين الإسلام، وطلب العلم والعمل به، ونشره بين المسلمين فقد ربح عمره، فهم وأمثالهم الذين ادَّخروا أعمارهم للدار الآخرة، فهي الحياة الحقيقية، أما الدنيا فهي زائلة ومنتهية،

❖ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلاَثَةٌ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ**» أخرجه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن لم يفهم هذه الحقيقة فلم يوفق في فهمه.

طلب العلم من أسباب جلب الرزق

❖ وفي الحديث، أن طلب العلم والإنفاق على طلبة العلم من أسباب جلب الرزق.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة كتابه الرد على الزنادقة: الحمد لله الذي جعل في كل زمانٍ فترةٍ من الرسل، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍ تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم. ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. انتهى

✓ وفضائل أهل العلم كثيرة، وردت بها الأدلة من الكتاب والسنة، وآثار السلف فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

الحديث الثامن:

حديث: «اللهم أسلمت نفسي إليك»

[٨] عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ**». قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: «**لاَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**» متفق عليه.

وفي رواية عند مسلم: «**وإن أصبحت أصبت خيرًا**».

وفي رواية عند مسلم أيضًا: «**إذا أخذت مضجعك من الليل**».

ترجمة البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

❖ قال **الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ في السير (٣/ ١٩٤): البَرَاءُ بنُ عَازِبِ بنِ الحَارِثِ الأَنْصَارِيُّ الحَارِثِيُّ الفَقِيْهُ الكَبِيْرُ، أَبُو عُمَارَةَ الأَنْصَارِيُّ، الحَارِثِيُّ، المَدَنِيُّ، نَزِيْلُ الكُوْفَةِ، مِنْ أَعْيَانِ الصَّحَابَةِ.

✓ رَوَىٰ حَدِيْثًا كَثِيْرًا، وَشَهِدَ غَزَوَاتٍ كَثِيْرَةً مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتُصْغِرَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَالَ: كُنْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ لِدَةً.

✓ وَرَوَىٰ أَيْضاً عَنْ: أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ، وَخَالِهِ؛ أَبِي بُرْدَةَ بنِ نِيَارٍ....

✓ تُوُفِّيَ: سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِيْنَ.

✓ وَقِيْلَ: تُوُفِّيَ سَنَةَ إِحْدَىٰ وَسَبْعِيْنَ، عَنْ بِضْعٍ وَثَمَانِيْنَ سَنَةً.

وَأَبُوْهُ مِنْ قُدَمَاءِ الأَنْصَارِ.

✓ قَالَ الوَاقِدِيُّ: لَمْ نَسْمَعْ لَهُ بِذِكْرٍ فِي المَغَازِي.

❖ وَرَوَىٰ: أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ البَرَاءِ، قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ خَمْسَ عَشْرَةَ غَزْوَةً...

✓ (مُسْنَدُهُ) ثَلاَثُ مائَةٍ وَخَمْسَةُ أَحَادِيْثَ.

✓ لَهُ فِي (الصَّحِيْحَيْنِ): اثْنَانِ وَعِشْرُوْنَ حَدِيْثًا.

✓ وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ: بِخَمْسَةَ عَشَرَ حَدِيْثًا، وَمُسْلِمٌ: بِسِتَّةٍ. انتهىٰ.

فيكون مجموع ما في الصحيحين (٤٣) حديثًا.

شرح الحديث

❖ عَلَّم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هذه الآداب التي تكون عند النوم،

- وهي آداب فعلية،
- وقولية،
- وقلبية،

✓ أما الفعلية فالوضوء والاضطجاع علىٰ اليمين،

✓ وأما القولية فما فيه من دعاء،

✓ وأما القلبية فما تضمنته تلك الدعوات من التسليم والتفويض والالتجاء إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

❖ قوله: «**إذا أتيت مضجعك**» أي: للنوم، يحتمل: أن يكون مضطجعًا، وأن يكون جالسًا متهيئًا للاضطجاع فمن قرأه وهو جالس أجزأه، والأفضل أن يكون حال الاضطجاع، لقوله: «**اضطجع على شقك**» إلا إذا خاف أن يغلبه النوم.

لكن قوله: «**إذا أتيت مضطجعك**» معناه إذا أردت ذلك، بدليل أنه قد لا يكون على وضوء، ولهذا قال له: «**فتوضأ وضوءك للصلاة**».

استحباب الوضوء عند النوم وبيان فضله

❖ قوله: «**فتوضأ وضوءك للصلاة**»، هذا أمر يقصد به الندب والاستحباب لا الوجوب، لكن ينبغي للعبد أن يحرص، ولا يفرط في ذلك؛ لما فيه من الفضل المذكور في نهاية هذا الحديث، وهو الموت على الفطرة لو كان، وإن أصبح ولم يمت أصاب خيرًا كما في رواية مسلم، قال: «**وإن أصبحت أصبت خيرًا**».

❖ وفيه: الاستجابة لأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حين أمره بالوضوء،

✓ ومن استجاب لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أُجِرَ.

❖ **وقال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح (١١/ ١١٠): وَلَهُ فَوَائِدُ:

✓ مِنْهَا: أَنْ يَبِيتَ عَلَى طَهَارَةٍ لِئَلَّا يَبْغَتَهُ الْمَوْتُ فَيَكُونُ عَلَى هَيْئَةٍ كَامِلَةٍ وَيُؤْخَذُ مِنْهُ النَّدْبُ إِلَى الِاسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ بِطَهَارَةِ الْقَلْبِ لِأَنَّهُ أَوْلَى مِنْ طَهَارَةِ الْبَدَنِ. انتهى.

○ ولأنه لو مات في نومته تلك فإنه يبعث يوم القيامة على طهارة لما رواه مسلم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**».

○ وأيضًا لما في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند ابن حبان قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ بَاتَ طَاهِراً، بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلَّا قَالَ**

الْمَلَكُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلَانٍ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا». قال الألباني: حسن صحيح.

○ ولحديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: فال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ**» أخرجه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

❖ **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ:

✓ ومنها: أن يكون أصدق لرؤياه، وأبعد من تلاعب الشيطان.

استحباب الاضطجاع على الشق الأيمن عند النوم

❖ قوله: «**ثم اضطجع على شقك الأيمن**»،

✓ وهذا مستحب أيضًا، ونقل بعض أهل العلم عن بعض الأطباء للاضطجاع على الشق الأيمن فوائد صحية، ومنهم من جعله سببًا لسرعة الاستيقاظ وذلك لبقاء القلب معلقًا، ومنهم من قال بالجمع بين الاضطجاع على الأيمن ثم الأيسر: إذ الجمع بين الاضطجاعين سبب لهضم الطعام.

قوله: «أسلمت وجهي»

✓ وفي رواية في الصحيحين: «**وجهت وجهي إليك**».

✓ وفي رواية: «**أسلمت نفسي ووجهت وجهي إليك**».

❖ قال **الحافظ** رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح: المراد بالنفس هنا الذات، وبالوجه القصد. أهـ

فعلى هذا فالمراد بالوجه، الوجهة، أي إلى الصراط المستقيم الهادي إليه. فقوله في الدعاء: «**وجهت وجهي إليك وأسلمت وجهي إليك**»، أي: لا أتجه إلى سواك في قول ولا فعل ولا اعتقاد،

✓ قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣].

وقد وعد الله من أسلم وجهه إلى الله الجنة،

✓ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة:١١١-١١٢].

ومدحهم بأن دينهم أحسن دين،

✓ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥].

✓ وقال تعالى مثنيًا عليهم: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢].

❖ والمراد بإسلام الوجه، تصحيح القصد، وإخلاص القلب لله وحده لا شريك له.

قوله: «أسلمت نفسي إليك»

❖ **قال الحافظ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أسلمت**»، أَيِ اسْتَسْلَمْتُ وَانْقَدْتُ وَالْمَعْنَى جَعَلْتُ نَفْسِي مُنْقَادَةً لَكَ تَابِعَةً لِحُكْمِكَ إِذْ لَا قُدْرَةَ لِي عَلَى تَدْبِيرِهَا وَلَا عَلَى جَلْبِ مَا يَنْفَعُهَا إِلَيْهَا وَلَا دَفْعِ مَا يَضُرُّهَا عَنْهَا. أهـ.

وهذا استسلام لحكم الله الشرعي والقدري.

❖ قوله: «**وفوضت أمري إليك**» أي: جعلتك وكيلي في كل شؤوني الدينية والدنيوية، أنت وليي لا ولي لي سواك، ولا حول ولا قوة إلا بك، قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل:٩].

قوله: «ألجأت ظهري إليك»

❖ **قال الحافظ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتح (١١/ ١١٠ ـ ١١١): أَلْجَأْتُ: أَيِ: اعْتَمَدْتُ فِي أُمُورِي عَلَيْكَ لِتُعِينَنِي عَلَى مَا يَنْفَعُنِي لِأَنَّ مَنِ اسْتَنَدَ إِلَى شَيْءٍ تَقَوَّى بِهِ وَاسْتَعَانَ بِهِ وَخَصَّهُ بِالظَّهْرِ لِأَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَعْتَمِدُ بِظَهْرِهِ إِلَى مَا يَسْتَنِدُ إِلَيْهِ. أهـ

✓ وهذا لا يكون إلا ممن أيقن أن الله هو القادر على جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، وإذا صدق العبد في الالتجاء إلى الله ذهب همه إذ حاجاته كلها بيد الله، ونواصي الخلق كلهم بيد الله.

❖ **قال الطيبي** في شرح المشكاة: في هذا النظم غرائب وعجائب، لا يعرفها إلا الثقات من أهل البيان؛

✓ فقوله: «**أسلمت نفسي**» إشارة إلى أن جوارحه منقادة لله تعالى في أوامره ونواهيه.

✓ وقوله: «**وجهت وجهي**» إلى أن ذاته وحقيقته مخلصة له بريئة من النفاق،

✓ وقوله: «فوضت أمري إليك» إلى أن أموره الخارجة والداخلة مفوضة إليه، لا مدبر لها غيره،

✓ وقوله: «**ألجأت ظهري إليك**» بعد قوله: «**فوضت أمري**» إلى أن بعد تفويض أموره- التي هو مفتقر إليها وبها معاشه، وعليها مدار أمره- يلتجئ إليه مما يضره، ويؤذيه من الأسباب الداخلة والخارجة،

✓ ثم قوله: «**رغبة ورهبة**» منصوبان على المفعول له على طريقة اللف والنشر، أي فوضت أمري إليك رغبة، وألجأت ظهري من المكاره والشدائد إليك رهبة منك؛ لأنه لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك. انتهى المراد.

❖ قوله: «**رغبة ورهبة إليك**»، أي رغبة في رفدك وثوابك، ورهبة، أي خوفًا من غضبك وعقابك، قاله الحافظ.

❖ وهذا يأتي على جميع ما تقدم،

✓ كأنه قال: اللهم أسلمت نفسي إليك رغبة ورهبة، ووجهت وجهي إليك رغبة ورهبة، وفوضت أمري إليك رغبة ورهبة، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة، ومعنى ذلك: أنه إن أسلم نفسه لله أُجِرَ، وإن لم يسلمها أثم، سواء في ذلك إسلامه لله في حكمه الشرعي والقدري.

✓ وهكذا توجيه وجهه لله إن فعل ذلك أُجِرَ، وإلا أَثِمَ؛ لأن توجيه القصد معناه إخلاص القلب لله فلا يتجه لغير الله، إن فعل أُجِرَ، وإلا أَثِمَ، وكذلك إلجاء الظهر إلى الله ليس له أن يلتجئ إلى غيره، فإن التجأ إلى الله وحده أُجِرَ، وإلا أَثِمَ.

قوله: «لا ملجأ ومنجا منك إلا إليك»

❖ **قال الحافظ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تقديره: لا ملجأ منك إلى أحد، إلا إليك، ولا منجا منك، إلا إليك(١).

❖ **قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في زاد المعاد (٤/ ٢٤٤): فصل في تدبيره لأمر النوم واليقظة:

✓ وَقَوْلُهُ: (**أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ**)، أَيْ: جَعَلْتُهَا مُسَلَّمَةً لَكَ تَسْلِيمَ الْعَبْدِ

---

(١) المراد أنك لا تجد شخصًا تفر من الله إليه، يكون ملجأ لك من الله، بل إنك حين تنزل بك أقدار الله المؤلمة، أو وقعت في ذنوب ومعاصي، فالملجأ الوحيد هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وقوله: «**ولا منجا**» يعني ليس هناك مفر ولا تستطيع أن تنجو بنفسك، وليس هناك جهة تفر إليها، وإنما ينجيك رجوعك إلى الله، قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات: ٥٠]. ولقد أحسن من قال:

أَفِـــرُّ إِلَيـــكَ مِنْـــكَ وَأَيْـــنَ إِلّا ... إِلَيـــكَ يَفِـــرُّ مِنْـــكَ المُسْـــتَجِيرُ

الْمَمْلُوكِ نَفْسَهُ إِلَى سَيِّدِهِ وَمَالِكِهِ.

✓ وَتَوْجِيهُ وَجْهِهِ إِلَيْهِ يَتَضَمَّنُ إِقْبَالَهُ بِالْكُلِّيَّةِ عَلَى رَبِّهِ، وَإِخْلَاصَ الْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ لَهُ، وَإِقْرَارَهُ بِالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ وَالِانْقِيَادِ، قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾ [آل عمران:٢٠].

✓ وَذَكَرَ الْوَجْهَ إِذْ هُوَ أَشْرَفُ مَا فِي الْإِنْسَانِ، وَمَجْمَعُ الْحَوَاسِّ، وَأَيْضًا فَفِيهِ مَعْنَى التَّوَجُّهِ وَالْقَصْدِ مِنْ قَوْلِهِ:

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ ... رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

✓ وَتَفْوِيضُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ رَدُّهُ إِلَى اللهَ سُبْحَانَهُ، وَذَلِكَ يُوجِبُ سُكُونَ الْقَلْبِ وَطُمَأْنِينَتَهُ، وَالرِّضَى بِمَا يَقْضِيهِ وَيَخْتَارُهُ لَهُ مِمَّا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَالتَّفْوِيضُ مِنْ أَشْرَفِ مَقَامَاتِ الْعُبُودِيَّةِ، وَلَا عِلَّةَ فِيهِ، وَهُوَ مِنْ مَقَامَاتِ الْخَاصَّةِ خِلَافًا لِزَاعِمِي خِلَافِ ذَلِكَ.

✓ وَإِلْجَاءُ الظَّهْرِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ يَتَضَمَّنُ قُوَّةَ الِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ، وَالثِّقَةَ بِهِ وَالسُّكُونَ إِلَيْهِ، وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ مَنْ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ لَمْ يَخَفِ السُّقُوطَ.

✓ وَلَمَّا كَانَ لِلْقَلْبِ قُوَّتَانِ: قُوَّةُ الطَّلَبِ، وَهِيَ الرَّغْبَةُ، وَقُوَّةُ الْهَرَبِ، وَهِيَ الرَّهْبَةُ، وَكَانَ الْعَبْدُ طَالِبًا لِمَصَالِحِهِ، هَارِبًا مِنْ مَضَارِّهِ، جَمَعَ الْأَمْرَيْنِ فِي هَذَا التَّفْوِيضِ وَالتَّوَجُّهِ، فَقَالَ: رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ، بِأَنَّهُ لَا مَلْجَأَ لِلْعَبْدِ سِوَاهُ، وَلَا مَنْجَا لَهُ مِنْهُ غَيْرُهُ... إلخ.

قوله: «آمنت بكتابك الذي أنزلت»

❖ يعني كل كتاب أنزل على الرسل الماضين على وجه العموم، والقرآن على وجه الخصوص.

قوله : «ونبيك الي أرسلت»

❖ يعني محمدًا ومن سبقه من الرسل،

✓ قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

قوله : «فإن مِتَّ من ليلتك مِتَّ على الفطرة»

❖ قال **الحافظ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَقَوْلُهُ: «**عَلَى الْفِطْرَةِ**» أَيْ: عَلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَسْلَمَ وَاسْتَسْلَمَ

✓ قَالَ الله تَعَالَىٰ عَنْهُ ﴿إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الصافات:٨٤]،

✓ وَقَالَ عَنهُ: ﴿أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:١٣١]،

✓ وَقَالَ: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ [الصافات:١٠٣].

❖ **وَقَالَ** ابن بَطَّالٍ وَجَمَاعَةٌ: الْمُرَادُ بِالْفِطْرَةِ هُنَا دِينُ الْإِسْلَامِ. أهـ

✓ ويؤكد كلام ابن بطال، قوله تعالىٰ: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الروم:٣٠].

قوله : «واجعلهن آخر ما تقول»

❖ وعند مسلم: «**واجعلهن من آخر ما تقول**»، معناه ظاهر، أي: اقرأ آية الكرسي وغيرها من الأذكار، ثم اختم ذلك بهذا الدعاء، ولعلك تختم به حياتك، ألا ترىٰ قوله: «**فإن مت مت على الفطرة**»، ورواية مسلم دليل علىٰ أنه لا مانع من الكلام اليسير بعده سواء كان من أذكار النوم، أو دعاء آخر، أو كلام مع أهلك، أو غيرهم.

قول البراء: قلت: أستذكرهن، «وبرسولك الذي أرسلت»،

❖ قال: «**لا، وبنبيك الذي أرسلت**».

❖ قال **الشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح رياض الصالحين: قال أهل العلم: وذلك لأن الرسول يكون من البشر ويكون من الملائكة، كما قال الله عن جبريل: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠﴾ [التكوير:١٩-٢٠]. وأما النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ فلا يكون إلا من البشر. فإذا قال: «**ورسولك الذي أرسلت**» فإن اللفظ صالح، لأنْ يكون المراد به جبريل عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لكن إذا قال: «**ونبيك الذي أرسلت**» اختص بمحمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ. انتهى المراد.

❖ **وخلاصة ما تقدم أن مراد هذا الداعي:**

✓ كأنه يقول: اللهم هذا قولي واعتقادي، وما استقر في خلدي وفؤادي، عليه أحيا وعليه أموت، وإن عشت عملت بمقتضاه.

❖ **قال الحافظ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ يَشْتَمِلُ عَلَى الْإِيمَانِ بِكُلِّ مَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ إِجْمَالًا مِنَ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ مِنَ الْإِلَهِيَّاتِ وَالنُّبَوِيَّاتِ وَعَلَى إِسْنَادِ الْكُلِّ إِلَى اللهَّ مِنَ الذَّوَاتِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ لِذِكْرِ الْوَجْهِ وَالنَّفْسِ وَالْأَمْرِ وَإِسْنَادِ الظَّهْرِ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهَّ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ وَهَذَا كُلُّهُ بِحَسَبِ الْمَعَاشِ وَعَلَى الِاعْتِرَافِ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ خَيْرًا وَشَرًّا وَهَذَا بِحَسَبِ الْمَعَادِ. أهـ

الحديث التاسع:

حديث: «قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك»

[٩] عن أبي عمرو، وقيل أبي عمرة سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ الله الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله قُلْ لِي فِي الإِسْلاَمِ قَوْلًا لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ قَالَ: «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِم**» أخرجه مسلم.

ترجمة سفيان بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

❖ هو سفيان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن حطيم بن جشم الثقفي الطائفي.

✓ تأخر إسلام سفيان بن عبد الله، فقد كان يوم حنين يقاتل مع المشركين كافرًا.

✓ روىٰ عن سفيان بن عبد الله أبناؤه: عاصم، وعبد الله، وعلقمة، وعمرو، وأبو الحكم، وابن ابنه محمود، وقيل: محمود بن أبي سويد بن سفيان.

✓ ولم أجد لسفيان بن عبد الله حديثًا آخر عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، نص علىٰ ذلك غير واحد من أهل العلم.

شرح الحديث

❖ قوله: (**قُلْ لِي فِي الإِسْلاَمِ قَوْلًا لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ**).

✓ هذا توفيق من الله لسفيان بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث سأل عما ينفعه، فكم من الناس من يسأل عن أشياء لا تعود عليه بالنفع كأن يسأل عن الشجرة

التي أكل منها آدم، وما اسم حمار عزير، وما اسم كلب أصحاب الكهف، ومما كانت عصا موسىٰ، ونحو ذلك مما يحكم عليه بأنه علم لا ينفع وجهل لا يضر.

✓ وسؤال سفيان بن عبد الله لم يقتصر نفعه عليه، بل قد سرىٰ نفعه في الأمة قرنًا بعد قرن، وإلىٰ قيام الساعة.

✓ ويدل علىٰ ما في قلب سفيان بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من حب الخير وحب الإسلام، وحب العلم، وقبل هذا كله محبة الله ورسوله والدار الآخرة.

✓ أقره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ علىٰ السؤال، وأعطاه الجواب الذي من عمل به علىٰ الوجه المطلوب فقد عمل بجميع شرائع الدين في العقائد والأعمال والأقوال والأخلاق وغير ذلك.

قوله: «قل: آمنت بالله ثم استقم»

✓ مأخوذٌ ومنتزع من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت:٣٠].

✓ وقد جاء في رواية الترمذي والدارمي: «**قل ربي الله**» فوافق منطوق الآية.

❖ قوله: «**قل: آمنت بالله**» ليس المراد أن يقتصر علىٰ القول، بل المراد: قل: آمنت بالله، واعمل بذلك.

ومعلوم أن الإيمان يدخل فيه جميع الأعمال الصالحة

✓ كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، أفضلهَا قَول لَا إِلَه إِلَّا الله وَأَدْنَاهَا إِمَاطَة الْأَذَى عَن الطَّرِيق، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**» متفق عليه.

قوله: «ثم استقم»

أمرَهُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالاستقامة،

❖ وقد وعد الله أهلها بالجنة،

✓ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

✓ وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤﴾ [الأحقاف:١٣-١٤].

❖ وأمر الله نبيه وأمته بالاستقامة

✓ فقال: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود:١١٢].

✓ وقال: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾ [الشورى:١٥].

✓ وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُ﴾ [فصلت:٦].

❖ وعند البخاري عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللهُ، وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَوْ: حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**».

❖ وقد أثنى الله على نبيه بأنه على الصراط المستقيم

✓ فقال: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٦١].

✓ وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى:٥٢]

✓ وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون:٧٣].

❖ وقد بين الله أن الأنبياء كلهم وأتباعهم على الصراط المستقيم،

✓ وأمرنا أن ندعوه أن يلحقنا بهم فقال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٦-٧].

❖ وهذه دعوة تتكرر في كل ركعة فرضًا ونافلة.

✓ ومعلوم أن المنعم عليهم هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

❖ ووصف الله كتابه بالاستقامة،

✓ فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف:١-٢].

❖ قال **السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم وصف هذا الكتاب بوصفين مشتملين، على أنه الكامل من جميع الوجوه، وهما نفي العوج عنه، وإثبات أنه قيم مستقيم، فنفي العوج يقتضي أنه ليس في أخباره كذب، ولا في أوامره ونواهيه ظلم ولا عبث، وإثبات الاستقامة، يقتضي أنه لا يخبر ولا يأمر إلا بأجل الإخبارات وهي الأخبار، التي تملأ القلوب معرفة وإيمانًا وعقلًا كالإخبار بأسماء الله وصفاته وأفعاله، ومنها الغيوب المتقدمة والمتأخرة، وأن أوامره ونواهيه، تزكي النفوس، وتطهرها وتنميها وتكملها، لاشتمالها على كمال العدل والقسط، والإخلاص، والعبودية لله رب العالمين وحده لا شريك له، وحقيق بكتاب موصوف، بما ذكر، أن يحمد الله نفسه على إنزاله. أهـ

❖ ووصف دينه بالاستقامة،

✓ فقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ [الروم:٤٣].

❖ **قال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأمر الله نبيه أن يستقيم، وزكاه بأنه قد هدي إلى الصراط المستقيم، ودينه مستقيم، وكتابه مستقيم، وأمته مستقيمة.

❖ روى البخاري ومسلم في صحيحه عن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**» هذا لفظ مسلم.

❖ وحين شكا موسى وهارون فرعون إلى الله أمرهما بالاستقامة

✓ كما قال الله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس:٨٨].

فأمرهما الله بالاستقامة في مواجهة طغيان فرعون فقال: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:٨٩].

❖ وجعل الله اتباع الصراط المستقيم عاصمًا من الفرقة،

✓ فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

❖ وأمر بذلك أنبياءه فقال:

✓ ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣].

❖ والصراط هذا هو الإسلام،

✓ فعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ» أخرجه أحمد والحاكم، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ. ولفظ المستدرك: «ولا تعوجوا».

❖ وذكر الله أن الهداية إلى الصراط المستقيم إنما تكون بالقرآن لا بغيره،

✓ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة:١٥-١٦].

❖ ووعد الله من فعل بما أمره الله أن يهديه الصراط المستقيم،

✓ فقال: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُواْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨﴾ [النساء:٦٦-٦٨].

❖ وذكر الله أن من اعتصم بالله، أي: توكل عليه، والتجأ إليه وفقه الله وهداه إلى الصراط المستقيم،

فقال: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١].

❖ وذكر الله أن الهداية إلى الصراط المستقيم كرامة، يكرم بها من يشاء من عباده،

✓ فقال في عدة مواضع من القرآن الكريم: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:١٤٢، ٢١٣، يونس:٢٥، النور: ٤٦].

❖ إذا عرفنا هذا فإن المطلوب هو استقامة القلب، واللسان، والجوارح على الصراط المستقيم فعلًا لطاعة الله، وتركًا لمعصية الله، وهو العمل بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وصحابته الكرام، ومن تبعهم بإحسان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

❖ **عن أنس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**» أخرجه أحمد، وحسنه الألباني.

❖ والمطلوب هو الاستقامة على شعب الإيمان كلها، القولية، والقلبية، والفعلية؛ لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لسفيان بن عبد الله «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**»، أي: على الإيمان.

❖ **قال عمر بن الخطاب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في تعريف الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب.

✓ فقد يعرف المسلم الحق من الباطل، لكن يتلون ويجامل ويتنازل عن بعض الحق مجاملة لجلسائه، أو مراعاة لمصالحه.

✓ وقد يعمل بالحق، لكن لا يثبت عليه، بل تغلبه شهواته فتحرفه عن الصراط المستقيم إلى السبل المعوجة، يستقيم تارة ويعوج أخرى.

ومن وقع في الشرك بالله ليس مؤمنًا، ولا مستقيمًا

✓ لأن أول شعب الإيمان: (لا إله إلا الله)، فمن دعا غير الله، أو ذبح له، أو طلب منه إيجاد الأجنة في بطون الأرحام، أو طلب من مخلوق أن ينزل الغيث، أو ينبت الزرع، أو يخبره بشيء من علم الغيب فقد أشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، وفارق الاستقامة.

الناس في أمور العقيدة، طرفان ووسط؛

❖ كذلك في أمور العقيدة، فالناس في طرفين ووسط؛

✓ فالرافضة كرهوا الصحابة، وادعوا حب القرابة،

✓ والنواصب بضد ذلك أحبوا الصحابة، وأبغضوا القرابة،

وكلا الفرقتين على ضلال، والحق وسط وهو حب الصحابة والقرابة.

✓ والخوارج كفروا بالمعصية،

✓ والمرجئة حكموا بالإيمان لم لا يستحقه،

والحق وسط.

✓ والمعطلة نفوا عن الله ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله،

✓ والمجسمة مثلوا الله بخلقه،

وكلا الفرقتين على ضلال، والحق وسط وهو أن نثبت لله ما أثبته لنفسه، وأثبته له رسوله، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله من غير تمثيل ولا

تعطيل ولا تكييف.

✓ والقدرية المجوسية نفوا عن الله قدرته، وزعموا أن العبد خالق أفعاله، ولم يقدر الله عليه شيئًا،

✓ والجبرية بضد ذلك فعطلوا أفعال العبد، وجعلوا ذلك كله فعل الله، وما العبد إلا كغصن في مهب الريح لا اختيار له،

والحق وسط فللعبد قدرة وإرادة ومشيئة إلا أن إرادته ومشيئته خاضعة لمشيئة الله،

❖ قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

من خالف الاستقامة وقع في الطغيان

❖ تنبيه:قال تعالى في آية هود: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ﴾ [هود:١١٢].

✓ فقابل الاستقامة بالطغيان، ومعنى ذلك أن من خالف الاستقامة وقع في الطغيان،

- والمراد بالطغيان مجاوزة الحد
- فمن جاوز السنة إلى البدعة طغى،
- ومن جاوز الطاعة إلى المعصية طغى،
- ومن جاوز الحق إلى الباطل طغى،
- ومن جاوز الهدى إلى الضلال طغى،
- ومن جاوز التوحيد إلى الشرك طغى،

فيكون كل واحد ممن خالف الاستقامة عنده من الطغيان بقدر بعده عن

الحق. والله الموفق.

اقتران الاستقامة بالاستغفار

❖ تنبيه آخر: قال تعالى في آية فصلت: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُ﴾ [فصلت:٦].

✓ في ذكر الاستغفار بعد الاستقامة لفت نظر إلى أنه لا بد من تقصير من العبد مهما كانت استقامته، فأمره الله بالاستغفار لجبر ذلك النقص لعدم وجود العصمة لأحد بعد الأنبياء،

❖ كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو أن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا رسول الله، عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي، قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**».

✓ فإذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يعلم أبا بكر أن يقول إنه ظلم نفسه ظلمًا كثيرًا، وهو الصديق فما ظنك بغيره؟!

❖ وعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ**» رواه أحمد وغيره وقال الألباني: صحيح لغيره.

✓ ومعنى قوله: «**ولن تحصوا**»، أي: لن تستطيعوا استيعاب كل الطاعات فلا بد من تقصير، وهذا كقوله في الحديث الآخر: «**سددوا وقاربوا...**».

الاستقامة على دين الله أعلى المقامات

❖ قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة.

✓ ونقل ابن تيمية عن أبي علي الجوزجاني أنه قال: كن طالبًا للاستقامة، لا طالبًا للكرامة؛ فإن نفسك منجبلة على طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة.

من المعينات على الاستقامة

✓ ومما يعينك على الاستقامة طلب العلم فربما أوقع الجهل صاحبه في الباطل.

✓ كذلك الجلساء الصالحون، فكم من إنسان أرادته نفسه أن يقع في الباطل فاستحيا من جلسائه، ولم يزل ذلك دأبه، حتى صار الحق خلقًا له، لا يتجاوزه.

✓ كذلك الدعاء، فله أثر كبير على الثبات والاستقامة، ولذلك تقول في كل ركعة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦].

❖ وكان من دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»(١).

آخر الكلام على حديث سفيان بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه الترمذي وغيره.

الحديث العاشر:

حديث: « من نفس عن مؤمن كربة»

[١٠]عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». أخرجه مسلم.

شرح الحديث

❖ تقدمت ترجمة أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الحديث رقم واحد.

قضاء حوائج المسلمين خير وعمل صالح

❖ صدر هذا الحديث في الكلام على قضاء حوائج المسلمين، وقد جاءت أدلة كثيرة في الكتاب والسنة تحث على ذلك نذكر ما يسر الله منها:

✓ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧].

وقضاء حوائج المسلمين خير وعمل صالح.

✓ وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة:٢].

✓ وقال تعالى: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا﴾ [النساء:٨٥].

ومعنى هذا أن الشافع كان بوده أن يقضي حاجة أخيه المسلم بنفسه، ولكن لعله عجز، أو كانت الحاجة بيد غيره فبذل شفاعته حين عجز عن قضائها بنفسه.

✓ وقال تعالى في شأن نبيه موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ [القصص:٢٣-٢٤].

قام موسى بعد معرفة حال المرأتين بقضاء حاجتهما دون طلب منهما، ودون طلب أجرة، ولا سيما، وقد علم أن أباهما شيخ كبير، وليس من أرباب المال، فينتظر منه جزاء هذا مع ما عليه موسى في ذلك الوقت من الفقر والحاجة، وذهب يستظل ويدعو الله أن يسد فقره.

أحاديث في قضاء حوائج المسلمين

١-عَنْ أَبِي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ، أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ، قَالَ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي الله عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ **مَا شَاءَ**» أخرجه البخاري.

قال بعض الشراح: أي توسلوا في قضاء حاجة من طلب أو سأل «**تؤجروا**». يكن لكم مثل قضاء حاجته.

٢- عن عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

«**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ الله فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ**» متفق عليه.

٣- عَنْ مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ نَجَّى مَكْرُوبًا، فَكَّ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ الله فِي حَاجَتِهِ**» أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف.

٤- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا عَنْهُمْ وَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ**» أخرجه الطبراني، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حسن لغيره.

٥- عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ للهِ عِنْد أَقوام نعمًا أقرها عِنْدهم مَا كَانُوا فِي حوائج الْمُسلمين مَا لم يملّوهم، فإذا ملّوهم نقلهَا إِلَى غيرِهِم**» أخرجه الطبراني، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره.

٦- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «**يَا أُمَّ فُلاَنٍ، انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ، فَخَلاَ مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ، حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا**». أخرجه مسلم.

٧- عَنْ أَبِي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**»، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ الله، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «**يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ**

وَيَتَصَدَّقُ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ». متفق عليه.

٨- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتِ الصَّلَاةُ تُقَامُ، فَيُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلَ فِي حَاجَةٍ تَكُونُ لَهُ، فَيَقُومُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، فَمَا يَزَالُ قَائِمًا يُكَلِّمُهُ، فَرُبَّمَا رَأَيْتُ بَعْضَ الْقَوْمِ يَنْعَسُ مِنْ طُولِ قِيَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَهُ. أخرجه أحمد.

٩- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ قَالَ: تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ قَالَ: وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ». أخرجه مسلم.

ومعنىٰ «تعدل بين اثنين» أي: تصلح بينهما بالعدل.

١٠- عَن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الله أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ سُرُورٌ تَدْخِلُهُ عَلَى مُؤْمِنٍ: تَكْشِفُ عَنْهُ كَرْبًا، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ شَهْرًا فِي مَسْجِدٍ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رِضًى، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يُثْبِتَهَا لَهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ، وَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ لَيُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ» أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب قضاء الحوائج، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم

.(١٧٦)

١١- عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ، وَلَا يُؤْلَفُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**» أخرجه الدارقطني، والضياء المقدسي في المختارة، وحسنه الألباني.

١٢- عن ابن أبي مريم الأزدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَاحْتَجَبَ دُونَ خَلَّتِهِمْ وَفَاقَتِهِمْ وَفَقْرِهِمُ احْتَجَبَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْهُ فَقْرَهُ وَفَاقَتَهُ**» أخرجه أبو داود وابن ماجه، وصححه الألباني.

١٣- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حديث بدء الوحي قالت: فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلاَّ وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ. متفق عليه.

١٤- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**صَنَائِعُ المَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ وَالآفَاتِ وَالْهَلَكَاتِ، وَأَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ**» أخرجه الحاكم، وصححه الألباني.

❖ **أيها المسلم:**

✓ تذكر يا عبد الله إذا كنت في عافية، وأنت ترىٰ ذوي الحاجات،

✓ تذكر أنك قد تكون يومًا ما أنت المكروب الذي تتمنى من يفرج عنك كربك، أو ينفسه على الأقل،

✓ قد تكون في عسر فتتمنى من ييسر عليك، قد تكون مبتلى فتتمنى من يستر عليك.

❖ أيها المسلم،

✓ اعلم أن يوم القيامة فيه كربات عظيمة جدًا، وكثيرة لا يحصيها إلا الله، ومن أعظمها:

- انتظار فصل القضاء،
- والانتظار عند الميزان، ولا تدري أيثقل ميزانك، أو يخف،
- وعند استلام الكتب، ولا تدري أتعطاه بيمينك أم بيسارك،
- وعند الصراط، ولا تدري أتنجو، أو تسقط في نار جهنم، وغيرها كثير،

ولهذا فما وعدك الله جزاء قضائك لحوائج المسلمين أعظم مما تبذل،

الجزاء من جنس العمل وفضل قضاء الحاجات

والجزاء من جنس العمل، فقد يفرج الله عنك بعض هذه الكرب أو غيرها بسبب تفريجك لكرب المكروبين.

✓ اعلم أن شكوى الفقراء، وظهور حاجاتهم وعرضها على من كان قادرًا على قضائها ابتلاء من الله، فإن قضاها، أو ساهم في قضائها فذاك هو الفوز العظيم، فإن لم يقضها، فمعناه أنه لا يستحق النعم التي حباه الله إياها، وربما سلبها الله منه، كما تقدم في الأحاديث.

✓ قاضي حوائج المسلمين جندي من جنود الله، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١].

فاحمد الله على أن جعلك من جنوده الصالحين الخيرين الرحماء.

✓ قضاء حوائج المسلمين طريق طويل، وشاق لا يسلكه إلا العظماء سلكوه بلا ملل، ولا استثقال، ولا مَنٍّ ولا أذىٰ.

✓ وكتم قضاء الحاجات جمع بين أمرين عظيمين:

- الإخلاص لله،
- وحفظ كرامة المحتاجين،

﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾ [البقرة:٢٧١].

ولهذا قَلَّتْ قصص المخلصين؛ لأنهم يكتمون أعمالهم عن أعين الخلق.

✓ والإسراع في قضاء الحاجات من مكارم الأخلاق، ولقد أحسن من قال:

وأفضل البر ما لا منَّ يتبعه ولا تقدمه شيء من المطلِ

لأن وقت الانتظار ثقيل وشاق، وإن قضيت.

✓ ـ قاضي الحاجات جمع الله له بين أمرين عظيمين:

- شكر نعم الله التي وهبه الله إياها،
- وقضاء حوائج المسلمين، الذين ابتلاهم الله،

فاحمد الله الذي جعلك سببًا لرفع البلاء عمن شاء من خلقه.

✓ اصبر على قضاء الحاجات، فالطريق شاق، والنفوس أمَّارة بالسوء، وربما اشتدت الحاجة بشخص، فيلحَّ في المسألة حتى يضجرك، فإن لم تكن صبورًا ربما

حرمته خيرك وبرك، وحرمت نفسك الأجر، وربما كان المحتاج سيء الخلق فلا يمنعك ذلك من قضاء حاجته، فلك الأجر، وله سوء خلقه، وربما كان ما يراه منك من حسن الخلق سببًا لتوبته من سوء خلقه.

❖ في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي نحن بصدده: «**من نفَّس عن مؤمن كربةً**»،

❖ وفي حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**من فرَّج ...**»،

والتنفيس إزالة شيء من الكربة، فتقضي بعض حاجته، والتفريج تزيل الكرب كله، أو معظمه، والجزاء من جنس العمل، فجزاء التفريج تفريج، وجزاء التنفيس تنفيس فاختر لنفسك.

✓ والكرب حزن ينزل على العبد لسبب من الأسباب، ولا قدرة له على إزالته، سواء في نفسه، أو أهله، أو ولده، أو ماله.

والكرب متفاوت فيتفاوت الأجر في إزالته.

❖ قال **بعض الشراح**: فعلم عظيم فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال، أو جاه، أو إشارة، أو نصح، أو دلالة على الخير، أو إعانة بنفسه، أو وساطة، أو شفاعة، أو دعائه بظهر الغيب.

تنبيه: لماذا لم يقل في الحديث نفس الله عنه كربة من كرب الدنيا والآخرة

لم يقل في حديث أبي هريرة: «**نفَّس عنه كربة من كرب الدنيا والآخرة**»، ولا في حديث ابن عمر: «**فرَّج الله عنه كربة من كرب الدنيا والآخرة**»، وإنما يذكر الآخرة فقط.

وحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هو الحديث رقم (٢) من الأحاديث التي ذكرنا

قبل في قضاء حوائج المسلمين.

وسبب ذلك، والله أعلم أن الكرب الشديد، قليل حصوله عند كل الناس مع أن الله يجازي كل من نفَّس أو فرَّج عن مؤمن كربةً، لكن يدخر أجره في الآخرة؛ لأن كروب الدنيا ليست بشيء في مقابل الكروب الأخروية، فنبه بالأعلىٰ لحصول الأدنىٰ ضمنًا.

ويدخل في تفريج الكرب: الفتاوى العلمية

فكم من أناس عندهم أمور حيرتهم في أمر دينهم ودنياهم، فيفرجها الله بفتاوىٰ أهل العلم.

قوله: «من يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة»

❖ معنىٰ التيسير علىٰ المعسر: إن كان تعامله معك فبإنظاره، أو العفو عنه بالكل، أو البعض، وإن كان تعامله مع غيرك فبالشفاعة له عند أصحاب الحق، أو تدفع قضاء الدين عليه الكل، أو البعض.

✓ قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨٠].

وقد وردت في ذلك أحاديث نذكر ما تيسر منها:

١- عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ**» متفق عليه.

٢- عن أبي اليسر كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ» أخرجه مسلم، وبنحوه عن أبي هريرة أخرجه الترمذي.

٣- عن رِبْعِي عن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**تَلَقَّتِ المَلاَئِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ المُوسِرِ، قَالَ: قَالَ: فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ**». قَالَ أَبُو عَبْدِ الله: وَقَالَ أَبُو مَالِكٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ: «**كُنْتُ أُيَسِّرُ عَلَى المُوسِرِ، وَأُنْظِرُ المُعْسِرَ**»، وَتَابَعَهُ شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ المَلِكِ، عَنْ رِبْعِيٍّ، وَقَالَ أَبُو عَوَانَةَ: عَنْ عَبْدِ المَلِكِ، عَنْ رِبْعِيٍّ: «**أُنْظِرُ المُوسِرَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ المُعْسِرِ**»، وَقَالَ نُعَيْمُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ: «**فَأَقْبَلُ مِنَ المُوسِرِ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ المُعْسِرِ**».

٤- عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ طَلَبَ غَرِيمًا لَهُ فَتَوَارَىٰ عَنْهُ ثُمَّ وَجَدَهُ فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ فَقَالَ: آلله؟ قَالَ: آلله؟ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ**» أخرجه مسلم.

٥- عَنْ بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ**»، قَالَ: ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ**»، قُلْتُ: سَمِعْتُكَ يَا رَسُولَ الله تَقُولُ: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ**»، ثُمَّ سَمِعْتُكَ تَقُولُ: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ**»، قَالَ لَهُ: «**بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّيْنُ، فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ فَلَهُ**

بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ» أخرجه أحمد، وأخرجه الحاكم مختصرًا، وقال: صحيح على شرطهما.

ومعنى، حل الدين: حل وقت سداده.

مسألة: هل يجوز لمن له حق على شخصٍ معسرٍ وفيٍّ صادقٍ، أن يشد عليه، ويلزمه بالسداد، وأن يرفع أمره إلى القاضي ليقضيه حقه؟

❖ **أجاب** على ذلك الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح رياض الصالحين عند هذا الحديث، فقال:

✓ **قال العلماء** رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: من كان له غريم معسر؛ فإنه يحرم عليه أن يطلب منه الدين، أو أن يطالبه به، أو أن يرفع أمره إلى الحاكم؛ بل يجب عليه إنظاره.

✓ **ويجد** بعض الناس والعياذ بالله ممن لا يخافون الله، ولا يرحمون عباد الله، من يطالبون المعسرين، ويضيقون عليهم، ويرفعونهم إلى الجهة المسؤولة فيحبسون ويؤذون ويمنعون من أهلهم ومن ديارهم، كل هذا بسبب الظلم، وإن كان الواجب على القاضي إذا ثبت عنده إعسار الشخص، فواجب عليه أن يرفع الظلم عنه، وأن يقول لغرمائه: ليس لكم شيء.

✓ **ثم إن** بعض الناس والعياذ بالله إذا كان لهم غريم معسر يحتال عليه بأن يداينه مرة أخرى بِربًا، فيقول مثلاً: اشتر مني السلعة الفلانية بزيادة على ثمنها وأوفني، أو يتفق مع شخص ثالث يقول: اذهب تديّن من فلان وأوفني، وهكذا حتى يصبح هذا المسكين بين يدي هذين الظالمين كالكرة بين يدي الصبي يلعب بها والعياذ بالله.

✓ **والحاصل** إذا رأيتم شخصًا يطلب معسرًا أن تبينوا له أنه آثم، وأن ذلك حرام عليه؛ وأنه يجب عليه إنظاره؛ لقول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة:٢٨٠]، وأنه إذا ضيق على أخيه المسلم، فإنه يوشك أن يضيق الله عليه في الدنيا أو في الآخرة، أو في الدنيا والآخرة معًا، ويوشك أن يعجل له

بالعقوبة، ومن العقوبة أن يستمر في مطالبة هذا المعسر وهو معسر؛ لأنه كلما طالبه ازداد إثمًا.

✓ **وعلى** العكس من ذلك؛ فإنه يوجد بعض الناس والعياذ بالله يماطلون بالحقوق التي عليهم، مع قدرتهم على وفائهم، فتجده يأتيه صاحب الحق فيقول: غدًا، وإذا أتاه في غد قال: بعد غدٍ؛ وهكذا، وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَطْلُ الغنيِّ ظلمٌ**». وإذا كان ظلمًا؛ فإن أي ساعة أو لحظة تمضي وهو قادر على وفاء دينه؛ فإنه لا يزداد بها إلا إثمًا، نسأل الله لنا ولك السلامة والعافية. انتهى.

✓ أما **إذا** كان قادرًا على السداد فله الحق أن يطالبه وأن يشكوه إلى الجهات الأمنية أو المحكمة.

قوله: «من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة»

وردت في ذلك أدلة تدل على ما دل عليه هذا الحديث من الأمر بالستر والنهي عن كشف سيئات المسلمين؛ إذ أن المسلم ليس معصومًا، فكان المطلوب النصح والستر، فمن ذلك ما يأتي:

✓ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١٩].

والمراد بهذا انتشار الكلام عن الفاحشة من قذف، وتهم، ونشر للرذيلة، وغير ذلك.

١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، كَشَفَ**

الله عَوْرَتَهُ، حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ» أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: صحيح لغيره.

٢-عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ قَدْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ لاَ تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ يَتْبَعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ يَتْبَعِ اللهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتْبَعِ اللهُ عَوْرَتَه فَضَحَهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ**» أخرجه الترمذي، وصححه الألباني.

٣-عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَقِيلُوا ذَوِي الهيئاتِ عَثَراتِهم إلا الحُدُودَ**» أخرجه أبو داود، وصححه الألباني.

✓ من المعلوم أنه ليس أحدٌ منا معصومًا، فما منا أحدٌ إلا وهو يحب أن يستره الله، وأن يستره أخوه المسلم الذي علم بزلَّةٍ من زلاته، وهفوة من هفواته، وكما تحب أن يسترك أخوك، فاستر أنت عن أخيك، والجزاء من جنس العمل، كما في هذا الحديث الذي نحن بصدده، بل الجزاء أعظم من العمل حيث قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة**» فزادك الآخرة، وربما سترت مسلمًا في أمر، والله يسترك في أمور، وهذا الجزاء غير الثواب الذي كتبه الله لك في صحيفة حسناتك؛ لأن جزاء ما في الصحيفة سيكون في الجنة إن شاء الله، وما الستر في الآخرة إلا في أرض المحشر، فعلى هذا فجزاء سترك لأخيك يكون في الدنيا والمحشر والجنة.

مسألة في ستر المجرم

✓ وهنا أمر مهم ينبه عليه العلماء عند شرحهم لهذا الحديث، وهو أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**من ستر مسلمًا**»، وقال: «**من ستر مؤمنًا**»، ولم يقل: من ستر مجرمًا، ولم يقل: من ستر فاسقًا، أو ظالمًا.

فعلى هذا فلا بد من النظر في المصلحة، والنظر في حال الشخص، هل يستحق أن يستر؟!

❖ **قال ابن رجب** رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه جامع العلوم والحكم: واعلم أنَّ النَّاس على ضربين:

أحدهما: من كان مستورًا لا يُعرف بشيءٍ مِنَ المعاصي، فإذا وقعت منه هفوةٌ، أو زلَّةٌ، فإنَّه لا يجوزُ كشفها، ولا هتكُها، ولا التَّحدُّث بها، لأنَّ ذلك غيبةٌ محرَّمة، وهذا هو الذي وردت فيه النُّصوصُ، وفي ذلك قد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور:١٩].

والمراد: إشاعةُ الفَاحِشَةِ على المؤمن المستتر فيما وقع منه، أو اتُّهِمَ به وهو بريء منه، كما في قصَّة الإفك ...

والثاني: من كان مشتهراً بالمعاصي، معلناً بها لا يُبالي بما ارتكبَ منها، ولا بما قيل له فهذا هو الفاجرُ المُعلِنُ، وليس له غيبة، كما نصَّ على ذلك الحسنُ البصريُّ وغيره، ومثلُ هذا لا بأس بالبحث عن أمره، لِتُقامَ عليه الحدودُ.

ومثلُ هذا لا يُشفَعُ له إذا أُخِذَ، ولو لم يبلغِ السُّلطان، بل يُترك حتّى يُقامَ عليه الحدُّ؛ لينكفَّ شرُّه، ويرتدعَ به أمثالُه.

قال مالك: من لم يُعْرَفْ منه أذىً للناس، وإنَّما كانت منه زلَّةٌ، فلا بأس أنْ

يُشفع له ما لم يبلغ الإمام، وأمَّا من عُرِفَ بشرٍّ أو فسادٍ، فلا أحبُّ أنْ يشفعَ له أحدٌ، ولكن يترك حتىٰ يُقام عليه الحدُّ. أهـ

قوله: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

❖ **يأمر** الله عباده المؤمنين أن يعين بعضهم بعضًا، ووعد من أعان أخاه المؤمن أن يكافئه وجزاء الله أعظم مما بذله العبد.

❖ **والإعانة** تكون في أمور كثيرة، كما مر في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ**»(١).

✓ فتعين أخاك المسلم في الأمور المذكورة في الحديث،

✓ وأيضًا تعينه بمالك في علاج مريض، أو زواجه، أو إكرام ضيوفه بمال، أو طعام، أو خدمة،

✓ وتعينه في تجهيز ميته بتغسيل، أو تكفين، أو حفر قبر، ونحو ذلك،

✓ وتعينه في نصح أولاده وزوجته، وأبيه وأمه إن كان نصحك نافعًا فيهم،

✓ وتعينه في قضاء دينه هبة أو قرضة،

✓ وتعينه حتىٰ في إيقاظه للصلاة إذا احتاج إلىٰ ذلك،

إلىٰ غير ذلك من الأمور التي يعلم العبد أن أخاه يحتاج إلىٰ إعانة وينال العبد الأجر في إعانة أخيه حتىٰ ولو لم تكن الحاجة ضرورية، فإعانته من مكارم الأخلاق مع أنه عمل صالح، وهذا مما يسبب الألفة والمحبة بين المسلمين.

---

(١) مضىٰ برقم (٦) في الكلام علىٰ قضاء الحوائج.

مما ورد في فضل التعاون عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ما يلي:

٤- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَكْثَرُنَا ظِلًّا الَّذِي يَسْتَظِلُّ بِكِسَائِهِ، وَأَمَّا الَّذِينَ صَامُوا فَلَمْ يَعْمَلُوا شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِينَ أَفْطَرُوا فَبَعَثُوا الرِّكَابَ وَامْتَهَنُوا وَعَالَجُوا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالأَجْرِ**» متفق عليه.

٥- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «**تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**» أخرجه البخاري.

٦- عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اقْتَتَلَ غُلَامَانِ غُلَامٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَغُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَنَادَىٰ الْمُهَاجِرُ أَوِ الْمُهَاجِرُونَ، يَا لَلْمُهَاجِرِينَ وَنَادَىٰ الْأَنْصَارِيُّ يَا لَلْأَنْصَارِ، فَخَرَجَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ**» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ الله إِلَّا أَنَّ غُلَامَيْنِ اقْتَتَلَا فَكَسَعَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، قَالَ: «**فَلَا بَأْسَ وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ، فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ**» أخرجه مسلم.

ومعنىٰ: اقتتل غلامان، تضاربا، ومعنىٰ كسعة، ضربه بيده، أو رجله علىٰ مقعدته.

٧- وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ بِالْغَيْبِ نَصَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**» أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، وحسنه

الألباني.

٨- ـ وجاء عن جابر من قوله: (**من نصر أخاه المسلم بالغيب نصره الله في الدنيا والآخرة**) أخرجه ابن أبي الدنيا، وقال الألباني: حسن لغيره موقوفًا.

قوله: «ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الجنة».

❖ **سلوك** الطريق لالتماس العلم يشمل أمورًا كثيرة،

✓ كخروجه من بيته إلى مسجد، أو مدرسة لتلقي علوم الكتاب والسنة،

✓ أو السفر من مدينة إلى أخرى، أو من دولة إلى أخرى،

✓ أو الذهاب إلى بيت من يعلمك،

✓ أو حضور المحاضرات، أو الدورات العلمية،

✓ أو الذهاب إلى مكتبة عامة أو خاصة، ولو كانت مكتبتك في منزلك، فتنتقل من غرفة إلى أخرى،

✓ أو اتصال في الهاتف بعالم من العلماء لاستفتائه في مسألة عليمة،

وإذا تكرر هذا فهو محسوب لك، كأن تذهب إلى المسجد في كل صلاة لحضور دروس أعقاب الصلوات، أو أن تكون الدروس في الضحى، أو العصر، أو بين المغرب والعشاء، أو بعد العشاء، فيسهل الله لك طرقًا إلى الجنة بعدد ذلك، وفضل الله واسع وهباته عظيمة جمة.

قوله: «سهل الله له بها طريقًا إلى الجنة».

❖ **المراد** أن يوفقك الله لأعمال البر جزاء سلوكك طرق طلب العلم كأن يكون أمامك مائة عمل لم تعمل بواحدٍ منها، أو أنك تعمل بالعمل تارة، وتتركه تارة،

✓ فكلما سلكت طريقًا تلتمس فيها علمًا وفقك الله للعمل بواحد من هذه الأعمال،

✓ أو يثبتك على الذي أنت مقصر فيه، فربما تكاسلت عن صلاة الضحى، فتجد عزيمة تؤزك إلى الصلاة فتقوم فتصلي الضحى، أو أن تتكاسل عن أذكار الصباح، أو المساء، فيدفعك عزمك لقراءتها، أو تتكاسل عن الوضوء عند النوم، فيقوى عزمك،

✓ وهكذا في أمورك يحصيها الله لك، لا يحصيها إلا هو، وما ذلك الأجر، سلوكك طرقًا تلتمس فيها علمًا.

وقد لا تدري أن قوة عزمك على عمل كان مكافأة لك على طلبك للعلم، ولهذا تجد العلماء أكثر الناس، عملًا وأحسنهم عملًا،

✓ كذلك حين تسلك طريقًا تلتمس فيه علمًا، يمن الله عليك بعلوم أخرى لم تكن تعلمها من قبل، فتلك العلوم من أسباب دخول الجنة،

✓ فتحفظ حديثًا إذا عملت به دخلت الجنة، أو يفتح الله عليك فهمًا لآية، أو حديث يكون سببًا لدخول الجنة.

❖ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**». رواه أحمد وصححه الألباني.

✓ هذا الحديث يدل على أن العلم خير من الملك، والرئاسة، والتجارة؛ لأنه لم يرد أن الملائكة تضع أجنحتها للملوك، ولا للتجار، ولا للرؤوساء، ولو كانوا صالحين.

قوله: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله».

❖ قوله: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**».

❖ قوله: «**إلا نزلت عليهم السكينة**»، المراد بالسكينة الملائكة،

✓ فقد روى البخاري ومسلم عَنِ الْبَرَاءِ بن عازب قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدُورُ وَتَدْنُو وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «**تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ**».

✓ وعن أبي سَعِيدٍ أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ فَقَرَأَ ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى فَقَرَأَ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا قَالَ: فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي إِذْ جَالَتْ فَرَسِي فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ قَالَ: فَقَرَأْتُ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ قَالَ: فَقَرَأْتُ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ قَالَ: فَانْصَرَفْتُ وَكَانَ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا خَشِيتُ

أَنْ تَطَأَهُ فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ**» أخرجه البخاري تعليقًا، وأخرجه مسلم.

فبين في قصة ابن حضير أن السكينة المذكورة في حديث البراء هي الملائكة.

❖ وذكر غير واحد من شراح الحديث أن المراد بالسكينة، الطمأنينة، وهذا ظاهر ملموس فربما دخل الرجل في حلقة علم، أو محاضرة، وعنده مشكلة تشغله في قلبه فينساها، فلا يذكرها إلا بعد انتهاء مجلس العلم، أو المحاضرة، وذلك من السكينة، وهكذا فإن الجالسين في مجالس الذكر يجدون من اللذة والراحة ما لا يعلمه إلا الله، وذلك من السكينة التي أنزلها الله عليهم،

✓ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

وبما أنه قد جاء في الحديث، أن الملائكة تتنزل لسماع الذكر، وسماها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ السكينة، كما في الحديث المتقدم، فيكون المقصود بالسكينة الأمرين جميعًا: الملائكة، والطمأنينة، ولا مانع أن الملائكة تدخل الطمأنينة في قلوب الذاكرين.

فإن قال قائل: قد ذُكرت الملائكة بعد ذلك أنها تحفهم؟

فالجواب: أن الملائكة الطوافين الباحثين عن حلق الذكر ومجالسه، غير الملائكة الذين يتنزلون لسماع الذكر، فأولئك يحفون بأجنحتهم، وأولئك ينزلون كالظلة فيها القناديل في مشهد عظيم للفريقين من الملائكة، لو كشفه الله لنا لكان مشهدًا عظيمًا، ولعقلنا حقيقة العلم وفضله وعلو منزلة أهله، وما جعل الله من الخير في حلقات العلم.

قوله: «غشيتهم الرحمة»

أي: عمَّتهم وشملتهم، ومن غشيتهم رحمة الله فيرجى أن يكونوا محبوبين عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦].

ويرجى أن يغفر الله ذنوبهم كلها أو جلها.

❖ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَ، لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ، إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ**» أخرجه أحمد.

قوله: «وحفتهم الملائكة»

أي: أحاطتهم بأجنحتها يستمعون الذكر تعظيمًا للمذكور، وإكرامًا للذاكر، ورضًا وتعظيمًا لصنيعهم.

قوله: «وذكرهم الله فيمن عنده»

❖ قال **ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع العلوم والحكم عند شرحه لهذا الحديث: ذكر الله لعبده: هو ثناؤه عليه في الملأ الأعلى بين ملائكته ومباهاتهم به وتنويهه بذكره. قال الربيعُ بنُ أنس: إنَّ الله ذاكرٌ مَنْ ذكرهُ، وزائدٌ مَنْ شكره، ومعذِّبٌ من كفره. أهـ

✓ قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢].

✓ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

❖ وصلاة الله على عبده، ثناؤه عليه وذكره إياه بين ملائكته في الملأ الأعلى.

❖ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَقُولُ اللهُ**

تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» متفق عليه.

❖ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً فُضُلاً يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لاَ أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لاَ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلاَنٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» أخرجه مسلم.

مجالس الذكر هي حلقات العلم والمحاضرات، وتشمل الذاكرين، والتالين للقرآن بين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات، وغير ذلك.

قوله: «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»

بطَّأ بتشديد الطاء، أي: أخَّر.

والمعنى من بطأه وأخره عمله عن بلوغ مراتب الصالحين، فإن ذلك النقص والعجز، لا يجبره ارتفاع النسب، والمراد بارتفاع النسب، أن يكون آباؤه وأجداده لهم مكانة في المجتمع، صغرت أو كبرت، فليست العبرة بالنسب، إنما العبرة بالعلم والعمل(١)، وما أحسن قول القائل:

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما ... فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

❖ **قال ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه جامع العلوم والحكم: فمن أبطأ به عمله أنْ يبلُغَ به المنازلَ العالية عند الله تعالى، لم يُسرِعْ به نسبه، فيبلغه تلكَ الدَّرجاتِ، فإنَّ الله تعالى رتَّبَ الجزاءَ على الأعمال، لا على الأنساب، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١]. أهـ

❖ **قال الشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الأربعين: فإن لم يبطئ به العمل وسارع إلى الخير وسبق إليه، فهل يسرع به النسب؟

فالجواب: لا شك أن النسب له تأثير وله ميزة، ولهذا نقول: جنس العرب خير من غيرهم من الأجناس، وبنو هاشم أفضل من غيرهم من قريش، كما جاء في الحديث «**إن الله اصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»، وقال: «**خياركم في الإسلام خياركم في الجاهلية إذا فقهوا**».

---

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

فالنسب له تأثير، لذلك تجد طبائع العرب غير طبائع غيرهم، فهم خير في الفهم، وخير في الجلادة وخير في الشجاعة وخير في العلم، لكن إذا أبطأ بهم العمل صاروا شرًا من غيرهم.

انظر إلى أبي لهب عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ماذا كانت أحواله؟

كانت أحواله أن الله تعالى أنزل فيه سورة كاملة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد:١-٥].

أنه ينبغي للإنسان ألَّا يغتر بنسبه وأن يهتم بعمله الصالح حتى ينال به الدرجات العلى والله الموفق. انتهى.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].أَيْ: إِنَّمَا تَتَفَاضَلُونَ عِنْدَ الله بِالتَّقْوَى لَا بِالْأَحْسَابِ.

وَقَدْ وَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ بِذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ثم ذكر أحاديث، نذكر بعض ما ذكر، وما ذكره غيره:**

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ؟ قَالَ: «**أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاهُمْ**» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: «**فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ، ابْنُ نَبِيِّ الله، ابْنُ نَبِيِّ الله، ابْنِ خَلِيلِ الله**». قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: «**فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟**» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا**».

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**» أخرجه مسلم.

٣- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «**انْظُرْ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِخَيْرٍ مِنْ أَحْمَرَ وَلَا أَسْوَدَ إِلَّا أَنْ تَفْضُلَهُ بِتَقْوَى**». أخرجه أَحْمَدُ، وحسنه الألباني.

٤- عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ سَلِينِي بِمَا شِئْتِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**» متفق عليه.

٥- عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جِهَارًا غَيْرَ سِرٍّ يَقُولُ: «**أَلاَ إِنَّ آلَ أَبِي يَعْنِي فُلاَنًا لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ**» متفق عليه.

❖ **ـ قال ابن رجب** رَحِمَهُ اللَّهُ عقب هذا الحديث عند شرح قوله: يشير إلى أنَّ ولايته لا تُنال بالنَّسب، وإنْ قَرُبَ، وإنَّما تُنالُ بالإيمان والعمل الصالح، فمن كان أكملَ إيماناً وعملاً، فهو أعظمُ ولاية له، سواءٌ كانَ له منه نسبٌ قريب، أو لم يكن، وفي هذا المعنى يقولُ بعضهم:

لَعَمْــرُكَ مــا الإنســانُ إلاَّ بِدينِــهِ ... فَلا تَتْرُكِ التَّقوى اتِّكالًا على النسب
لَقَـد رَفَـعَ الإسـلامُ سَـلمَانَ فَـارِسٍ ... وقَد وَضَـعَ الشِّـركُ الشقيَّ أبَا لَهـب

انتهى.

٦-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تَفْتَخِرُوا بِآبَائِكُمِ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَمَا يُدَهْدِهُ الْجُعَلُ بِمَنْخَرَيْهِ، خَيْرٌ مِنْ آبَائِكُمِ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ**» أخرجه أحمد، وصححه الوادعي والألباني رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

٧-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الخِرَاءَ بِأَنْفِهِ إِنَّ اللهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ**» أخرجه أبو داود، والترمذي وحسنه.

قوله: « **عُبِّيَّةَ الجاهلية**»، يعني كبر أهل الجاهلية.

❖ **قال القاري**ء: شَبَّهَ الْمُفْتَخِرِينَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ الجعلان وآبائهم الْمُفْتَخَرُ بِهِمْ بِالْعَذِرَةِ وَنَفْسَ افْتِخَارِهِمْ بِهِمْ بِالدَّفْعِ وَالدَّهْدَهَةِ بِالْأَنْفِ. وَالْمَعْنَى أَنَّ أَحَدَ الْأَمْرَيْنِ وَاقِعٌ أَلْبَتَّةَ إِمَّا الِانْتِهَاءُ عَنِ الِافْتِخَارِ أَوْ كَوْنُهُمْ أَذَلَّ عِنْدَ الله تَعَالَى مِنَ الْجِعْلَانِ الْمَوْصُوفَةِ. انْتَهَى عن عون المعبود.

✓ قلت: فانظروا رحمكم الله إلى هذا التشبيه العجيب، فإن المفتخر بأجداده هو يراهم، كأنهم الجبال، وهم في نظر الشرع قطعة براز، والعياذ بالله.

✓ ومن الملاحظ غالبًا أنه كلما زاد الافتخار بالآباء، إنما هو لمزيد الظلم، فكلما كان الأجداد أشد ظلمًا، كان الأحفاد أشد افتخارًا بهم، والواقع يشهد بذلك.

✓ ثم إنَّ قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «**من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»

الناس في هذا أربع مراتب:

الأولى: من اجتمع له الدين والنسب.

الثانية: من كان له دين ولم يكن له نسب.

الثالثة: عكسه من كان له نسب، ولا دين له.

الرابعة: من ليس له دين ولا نسب.

فخيرهم الأول، ولهذا بعث الله النبيين من ذوي الأنساب الرفيعة كما في قصة هرقل مع أبي سفيان حين سأله كيف نسبه فيكم؟ فقال: هو فينا ذو نسب، قال: وكذلك الرسل تبعث في أنساب قومها.

✓ وهؤلاء الذين استقاموا في دينهم، وارتفعت أنسابهم من مشايخ قبائل وحكام، جعلهم الله سببًا لإرجاع الحقوق إلى أهلها، وإنصاف المظلوم من الظالم، وكم من محق نصروه، وكم من صاحب باطل كبتوه، وكم من بدعة ومعصية أزالوها، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج:٤١].

❖ وعن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**إِنَّ اللهَ لَيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ**»(١).

الثاني: وبعده في الرتبة من كان صاحب دين من أصحاب الأنساب الوضيعة، فهؤلاء لم يضرهم نقص مكانتهم في المجتمع، وهؤلاء أمثال بلال بن رباح، وعمار، وصهيب، وزيد بن حارثة في أعداد لا يحصيها إلا الله عبر العصور، فمنهم العلماء، ومنهم العباد، ومنهم المجاهدون، ومنهم أمراء كأسامة بن زيد

(١) سبق عند الكلام على شرح الحديث الثالث.

وأبيه، وغيرهم.

ويدخل في ذلك ممن بعدهم أئمة، وخطباء، ودعاة، ومؤلفون، وقد نفع الله بهم أيما نفع.

الثالث: من كان ذا نسب، وليس عنده دين، فمنهم من هو قليل الشر، فانحصر شرهم على أنفسهم، ومنهم من صاروا ظلمة، قتلة، فجرة، نشروا الشر، وآذوا الناس، وهؤلاء الذين إذا مات أحدهم صدق عليه قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «**مستراح منه**»، وإن ابتلاه الله مع ما هو فيه من الشر بمال سخر ماله في نشر الشرور، وربما أقام دور الدعارة، والفنادق التي فيها العهر، والخمور، والفواحش، إلى غير ذلك، نسأل الله السلامة.

الرابع: من ليس له نسب ولا دين، فهؤلاء كما قال الله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٧١].

وهؤلاء الذين يمشون مكبين على وجوههم، إنْ منَّ الله عليهم بحياء من الناس، أو خوف يردعهم، وإلا فتوقع منهم كل شر، ورذيلة كما جاء عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**» أخرجه البخاري.

❖ **وللشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ كلام حسن في أثر النسب على صاحبه، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا ينظر إلى الناس من حيث النسب، ولا من حيث الحسب، ولا من حيث المال، ولا من حيث الجمال، وإنما ينظر سبحانه إلى الأعمال، فأكرم الناس عنده أتقاهم له، ولهذا يمد أهل التقوى بما يمدهم به من الكرامات الظاهرة أو الباطنة، لأنهم هم أكرم خلقه عنده، ففي هذا حث على

تقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه كلما كان الإنسان أتقىٰ لله فهو أكرم عنده، ولكن الصحابة لا يريدون بهذا السؤال الأكرم عند الله! (قالوا: لسنا عن هذا نسألك) ثم ذكر لهم إن أكرم الخلق يوسف ابن نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله، فهو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، فانه_ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ _ كان نبيا من سلالة الأنبياء، فكان أكرم الخلق(١).

✓ وقوله: قالوا: لسنا عن هذا نسألك، قال: «**فعن معادن العرب تسألوني؟**» معادن العرب يعني أصولهم وأنسابهم!

✓ وقوله: «**خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا**» يعني إن أكرم الناس من حيث النسب والمعادن والأصول، هم الخيار في الجاهلية، لكن بشرط إذا فقهوا. فمثلا بنو هاشم من المعروف هم خيار قريش في الإسلام، لكن بشرط أن يفقهوا في دين الله، وأن يتعلموا من دين الله، فإن لم يكونوا فقهاء فإنهم_ وإن كانوا من خيار العرب معدنًا_ فإنهم ليسوا أكرم الخلق عند الله، وليسوا خيار الخلق. ففي هذا دليل على أن الإنسان يشرفه نسبه، لكن بشرط أن يكون عليه فقه في دينه، ولا شك أن النسب له أثر، ولهذا كان بنو هاشم أطيب الناس وأشرفهم نسبًا، ومن ثم كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الذي هو أشرف الخلق ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤]، فلولا إن هذا البطن من بني آدم أشرف البطون، ما كان فيه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فلا يبعث الرسول إلا في أشرف البطون وأعلى الأنساب، والشاهد من هذا الحديث قول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إن أكرم الخلق اتقاهم لله**».

---

(١) إذ لم تجتمع هذه الصفات لأحد سواه.

فإذا كنت تريد أن تكون كريمًا عند الله وذا منزلة عنده، فعليك بالتقوىٰ، فكلما كان الإنسان لله اتقىٰ كان عنده أكرم.

أسال الله إن يجعلني وإياكم من المتقين[١].

(١) من شرح رياض الصالحين.

الحديث الحادي عشر:

حديث: « اتقوا الظلم»

[١١]عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» أخرجه مسلم.

ترجمةُ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن سَلِمَة.

❖ **قال الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ في السير: الإِمَامُ الكَبِيْرُ، المُجْتَهِدُ، الحَافِظُ، صَاحِبُ رَسُوْلِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَبُو عَبْدِ الله، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَنْصَارِيُّ، الخَزْرَجِيُّ، السَّلِمِيُّ، المَدَنِيُّ، الفَقِيْهُ.

✓ رَوَىٰ: عِلْمًا كَثِيْرًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ: عُمَرَ، وَعَلِيٍّ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ، وَمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، وَالزُّبَيْرِ، وَطَائِفَةٍ. أهـ

✓ شهد العقبة مع أبيه وخاله، وهو صغير لم يشهد بدرًا ولا أحدًا، منعه أبوه ليبقىٰ مع أخواته، وكن تسعًا، واستشهد أبوه في أحد، فما تخلف بعدها عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في غزوة.

✓ وكان جابرٌ مقربًا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكان معه حكايات منها:

١- عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جَاءَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي وَأَنَا

مَرِيضٌ لاَ أَعْقِلُ، فَتَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ، فَعَقَلْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَنِ المِيرَاثُ؟ إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلاَلَةٌ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الفَرَائِضِ. رواه البخاري.

٢-عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: هَلَكَ أَبِي وَتَرَكَ سَبْعَ أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**تَزَوَّجْتَ يَا جَابِرُ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟**» قُلْتُ: ثَيِّبٌ، قَالَ: «**هَلاَّ جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ، أَوْ تُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ؟**» قُلْتُ: هَلَكَ أَبِي فَتَرَكَ سَبْعَ أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً تَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قَالَ: «**فَبَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ**» متفق عليه.

٣-ومنها: عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ، رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا شَدِيدًا، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي، فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا شَدِيدًا، فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ، فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي، وَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: لاَ تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَبِمَنْ مَعَهُ، فَجِئْتُهُ، فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا، فَحَيَّ هَلًا بِكُمْ**»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلاَ تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ**»، فَجِئْتُ، وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ،

فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا، فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَىٰ بُرْمَتِنَا، فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «**ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ، وَلاَ تُنْزِلُوهَا وَهُمْ أَلْفٌ**»، فَأُقْسِمُ بِاللهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّىٰ تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ. متفق عليه.

٤- ومنها: عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ، فَاسْتَعَنْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ غُرَمَائِهِ أَنْ يَضَعُوا مِنْ دَيْنِهِ، فَطَلَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَفْعَلُوا، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**اذْهَبْ فَصَنِّفْ تَمْرَكَ أَصْنَافًا، العَجْوَةَ عَلَى حِدَةٍ، وَعِذْقَ ابْنِ زَيْدٍ عَلَى حِدَةٍ، ثُمَّ أَرْسِلْ إِلَيَّ، فَفَعَلْتُ**»، ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَجَلَسَ عَلَىٰ أَعْلاَهُ، أَوْ فِي وَسَطِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**كِلْ لِلْقَوْمِ**»، فَكِلْتُهُمْ، حَتَّىٰ أَوْفَيْتُهُمُ الَّذِي لَهُمْ، وَبَقِيَ تَمْرِي كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْءٌ. رواه البخاري.

٥- ومنها: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَكُنْتُ عَلَىٰ جَمَلٍ ثَفَالٍ، إِنَّمَا هُوَ فِي آخِرِ القَوْمِ، فَمَرَّ بِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا؟**» قُلْتُ: جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «**مَا لَكَ؟**» قُلْتُ: إِنِّي عَلَىٰ جَمَلٍ ثَفَالٍ، قَالَ: «**أَمَعَكَ قَضِيبٌ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**أَعْطِنِيهِ**»، فَأَعْطَيْتُهُ، فَضَرَبَهُ، فَزَجَرَهُ، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ المَكَانِ مِنْ أَوَّلِ القَوْمِ، قَالَ: «**بِعْنِيهِ**»، فَقُلْتُ: بَلْ هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**بَلْ بِعْنِيهِ، قَدْ أَخَذْتُهُ بِأَرْبَعَةِ دَنَانِيرَ، وَلَكَ ظَهْرُهُ إِلَى المَدِينَةِ**»، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ أَخَذْتُ أَرْتَحِلُ، قَالَ: «**أَيْنَ تُرِيدُ؟**»

قُلْتُ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً قَدْ خَلاَ مِنْهَا، قَالَ: «**فَهَلاَّ جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ**»، قُلْتُ: إِنَّ أَبِي تُوُفِّيَ، وَتَرَكَ بَنَاتٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْكِحَ امْرَأَةً قَدْ جَرَّبَتْ خَلاَ مِنْهَا، قَالَ: «**فَذَلِكَ**»، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ، قَالَ: «**يَا بِلاَلُ، اقْضِهِ وَزِدْهُ**»، فَأَعْطَاهُ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرَ، وَزَادَهُ قِيرَاطًا، قَالَ جَابِرٌ: لاَ تُفَارِقُنِي زِيَادَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَكُنِ القِيرَاطُ يُفَارِقُ جِرَابَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ. متفق عليه.

وفي رواية للبخاري: فَلَمَّا قَدِمْنَا، أَتَيْتُهُ بِالْجَمَلِ وَنَقَدَنِي ثَمَنَهُ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَأَرْسَلَ عَلَى إِثْرِي، قَالَ: «**مَا كُنْتُ لآخُذَ جَمَلَكَ، فَخُذْ جَمَلَكَ ذَلِكَ، فَهُوَ مَالُكَ**». انتهى.

وفي رواية مسلم: فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ أَتَيْتُهُ بِهِ، فَزَادَنِي وُقِيَّةً، ثُمَّ وَهَبَهُ لِي. انتهى.

وفي رواية في الصحيحين: «**أَمَا إِنَّكَ قَادِمٌ، فَإِذَا قَدِمْتَ فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ**».

شرح المفردات:

جمل ثفال: بطيء.

قد خلا منها: يعني أنها ثيب كما في الرواية الأخرى، والمراد أنها خلا منها زوجها بموت، أو طلاق.

الكيس الكيس: أي أكثر من الجماع لطلب الولد.

❖ **قال الذهبي** في السير: قِيْلَ: إِنَّهُ عَاشَ أَرْبَعًا وَتِسْعِيْنَ سَنَةً، وَأُضِرَّ بِأَخَرَةٍ.

مُسْنَدُهُ: بَلَغَ أَلْفًا وَخَمْسَ مائَةٍ وَأَرْبَعِيْنَ حَدِيْثًا.

✓ اتَّفَقَ لَهُ الشَّيْخَانِ: عَلَى ثَمَانِيَةٍ وَخَمْسِيْنَ حَدِيْثًا، وَانْفَرَدَ لَهُ البُخَارِيُّ: بِسِتَّةٍ وَعِشْرِيْنَ حَدِيْثًا، وَمُسْلِمٌ: بِمائَةٍ وَسِتَّةٍ وَعِشْرِيْنَ حَدِيْثًا. انتهى.

✓ قلت: فيكون مجموع ما في الصحيحين مائتين وعشرة أحاديث.

شرح الحديث

قوله: «**اتقوا الظلم**»:

❖ **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتح الباري: قَالَ ابن الْجَوْزِيِّ: الظُّلْمُ يَشْتَمِلُ عَلَى مَعْصِيَتَيْنِ أَخْذِ مَالِ الْغَيْرِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَمُبَارَزَةِ الرَّبِّ بِالْمُخَالَفَةِ، وَالْمَعْصِيَةُ فِيهِ أَشَدُّ مِنْ غَيْرِهَا؛ لِأَنَّهُ لَا يَقَعُ غَالِبًا إِلَّا بِالضَّعِيفِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى الِانْتِصَارِ، وَإِنَّمَا يَنْشَأُ الظُّلْمُ عَنْ ظُلْمَةِ الْقَلْبِ؛ لِأَنَّهُ لَوِ اسْتَنَارَ بِنُورِ الْهُدَى لَاعْتَبَرَ فَإِذَا سَعَى الْمُتَّقُونَ يوم القيامة بِنُورِهِمُ الَّذِي حَصَلَ لَهُمْ بِسَبَبِ التَّقْوَى اكْتَنَفَتْ ظُلُمَاتُ الظُّلْمِ الظَّالِمَ حَيْثُ لَا يُغني عَنهُ ظلمه شَيْئًا.

❖ **قال المناوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فيض القدير: ... الشرائع تطابقت على قبحه، واتفقت جميع الملل على رعاية حفظ الأنفس فالأنساب فالأعراض فالعقول فالأموال، والظلم يقع في هذه أو في بعضها وأعلاه الشرك ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، وهو المراد بالظلم في أكثر الآيات ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤].

✓ **ويدخل فيه ظلم الإنسان لنفسه بارتكاب المعاصي** إذ العصاة ظلام أنفسهم، وأقبح أنواع الظلم، ظلم من ليس له ناصر إلا الله.

✓ **قال ابن العزيز**: إياك إياك أن تظلم من لا ينتصر عليك إلا بالله فإنه تعالى إذا علم التجاء عبد إليه بصدق واضطرار انتصر له فورًا[(١)].

---

(١) «فيض القدير» (١/ ١٣٤).

من صور الظلم

١- **ومن الظلم أن يمنع ابنته أو أخته من الزواج** لعادات سيئة عند بعض الأسر، أو ليسيطر على مالها، أو لئلا يدخل عليهم شخص من خارج الأسرة، قد يكون وارثًا لشيء مما يملكون فهي سترث من أبيها، وأولادها سيرثون منها؛ فيرون أن أولادها من أبناء قوم آخرين، وقد أصبحوا وارثين وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، وقد أخذوه بحق شرعي، شرعه الله، وكذلك قد يمنع المرأة من الزواج لإبقائها في خدمته.

٢- **ومن الظلم حرمان النساء من الميراث**، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء:٧].

٣- **ومن الظلم تأخير سداد الدين مع القدرة عليه**؛ لما روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**مطلُ الغنيِّ ظلمٌ**».

الحديث يعني أنه إذا ماطل، وهو غني قادر على السداد فهو ظالم.

٤- **ومن الظلم سوء التعامل مع العمال**، والواجب على من يستأجر عمالًا ألّا يتجاوز المشروط في العمل فلا يكلفهم ما لا يكون في شرط العمل، وأن يلتزم بما اشترطوا عليهم من دفع أجرتهم كاملة في وقتها، وألّا يقصر في طعامهم وشرابهم، ولا يؤخره عن وقته، وأن يعطيهم سكنًا حسنًا إن كان في شرط العمل.

❖ فقد روى البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يقول الله جل وعلا: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ».

هذه أمثلة: ويلحق بها ما كان على شاكلتها في كافة المعاملات مع الأقارب، والأباعد، والصغار والكبار، والرجال والنساء، بل والحيوان. والله الموفق.

من مفاسد الظلم

أنه يحصد الحسنات، ويجلب سيئات المظلومين إلى الظالمين.

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» رواه مسلم.

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ، وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ». رواه البخاري.

والظالم يعجل الله له العقوبة:

كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حين بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ معاذًا

إلى اليمن، قال له: «**واتقِ دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**».

وقد أحسن من قال:

لا تظلمـــن إذا مـــا كنـــت مقتـــدرًا ... فـــالظلم ترجـــع عقبـــاه إلى النـــدم

تنـــام عينـــاك والمظلـــوم منتبـــهٌ ... يـــدعو عليـــك وعـــينُ الله لم تـــنم

٣- عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ، إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**» متفق عليه.

قوله: «ظلمات يوم القيامة»

❖ نؤمن بذلك وإن لم نُخبر إلا بظلمة المنافقين على الصراط، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ۖ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد:١٣].

✓ فالله عَزَّوَجَلَّ يجعل لكل ظالمٍ ظلمات على قدر ظلمه عددًا، ومقدارًا، فمن كثر ظلمه كثرت ظلماته، ومن عَظُمَ ظلمه، عظمت ظلماته.

✓ ويفهم من ذلك، أن أهل الإيمان يجعل الله لهم نورًا بسبب ما كانوا عليه من التوحيد، والإيمان، والعدل كما قال الله تعالى قبلها: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد:١٢].

قوله: «إياكم والشح»

❖ **قال العلماء**: الشح: البخل مع الحرص.

✓ والمراد أنه حريص على أن ينال ما في أيدي الناس، ولو بالحرام، ومانع من بذل ما لديه حتى فيما أوجب الله عليه، يحب مصالحه ولو بإسقاط مصالح الآخرين، ولو تضرر الآخرون بفعله، ولو كانوا أيتامًا، أو فقراء، أو مرضى، أو غير ذلك ما دام أنه قد حقق مراده ومصلحته؛ فلتسقط مصالح الآخرين.

وأيضًا فإن الشحيح يسعى إلى نيل مصالحه بخسة ودناءة يحب أن ينال مصلحته، ولو احتقره الناس وازدروه.

نظرة في أدلة الشح

✓ قال الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النساء:١٢٨].

معنى الآية: أنه إذا احتدمت الخصومة بين الزوجين، أو أنه ملَّها لدمامتها، أو لكبر سنها، وخافت المرأة من الطلاق، فلا مانع من تصطلح المرأة مع زوجها، وذلك بأن تتنازل عن شيء من حقوقها في الكسوة، أو النفقة، أو الليالي دفعًا لوقوع الطلاق فلا بأس.

والضمير في ﴿عَلَيۡهِمَآ﴾، وفاعل ﴿يُصۡلِحَا﴾ عائدٌ على الزوجين، أي: أنهما يتصالحان فيما بينهما على ما يُبقي الحياة الزوجية.

وقوله: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾، أي: أنَّ كلَّ واحدٍ قد حضره الشح، وهو الحرص، أي: أنها شحيحة بحقوقها، إلا ما تنازلت به، وشحَّ هو بنفسه

عنها، إلا ما طابت به نفسه من إعطائها بعض حقها، ويعتبر تنازلها وتنازله إحسانًا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النساء:١٢٨].

✓ قال تعالى: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٩﴾ [الأحزاب:١٨-١٩].

ذكر الله في هذه الآية حالة المنافقين، وما هم عليه من الدناءة، والشح فقال: ﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ﴾.

المراد أنهم شحيحون على المسلمين بكل ما يمكن أن يشاركوا فيه في القتال وغيره، فهم شحيحون بأنفسهم، وأموالهم وحبهم ومودتهم وغير ذلك، وهذا قبل القتال، ويحاولون إخفاء ما في نفوسهم؛ فيحاولون تثبيط المسلمين عن الجهاد بدعوى أنهم يخافون عليهم، ولا يريدون منهم أن يخاطروا بأنفسهم، وهذا داخل في معنى ﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ﴾، وليسوا صادقين، ما بهم إلا الخوف على أنفسهم، وقد بلغوا في الجبن مبلغًا صَوَّرَهُ اللهُ بقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾.

فإذا انتصر المسلمون جاءوا يتكلمون بألسنةٍ حدادٍ قلصت عن كل خير، كما قال تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ ﴾ يقولون: أعطونا لستم أحقَّ بالغنيمة منا، ويأتون بكلام كثير كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ﴾، كله في غاية

الوقاحة، وسوء الأدب.

✓ وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ٢١﴾ [محمد:٢٠-٢١].

✓ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

المراد من هذا السياق: الثناء على الأنصار، أنهم وُقُوا شُحَّ أنفسهم فأفلحوا.

والذي حصل منهم، ـ وذكره الله هنا ـ ثلاثةُ أشياءَ:

١- قوله: ﴿يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾، وقد ظهر ذلك في أمورٍ كثيرةٍ، منها المؤاخاة فيما بينهم، وبين المهاجرين.

٢- ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ﴾، أي: من أمر الدين والدنيا.

❖ قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: لا يحسدون المهاجرين على ما آتاهم الله من فضله وخصهم به من الفضائل والمناقب التي هم أهلها، وهذا يدل على سلامة صدورهم، وانتفاء الغل والحقد والحسد عنها. ويدل ذلك على أن المهاجرين، أفضل من الأنصار، لأن الله قدمهم بالذكر، وأخبر أن الأنصار ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ﴾، فدل على أن الله تعالى آتاهم ما لم يؤت الأنصار ولا غيرهم، ولأنهم جمعوا بين النصرة والهجرة. انتهى.

كما دلت عليه الآية التي قبل هذه.

٣- ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي: أن الأنصار يعطون إخوانهم المهاجرين أشياءهم في أمس الحاجة إليها.

أمثلة تبين أن الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد وقاهم الله شح أنفسهم

وسنضرب أمثلة تبين أن الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد وُقُوا شُحَّ أنفسهم:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَىٰ، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّىٰ قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ، لاَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ، فَقَالَ: مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ، رَحِمَهُ اللَّهُ؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ الله، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لاَ، إِلاَّ قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا، فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَىٰ لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ، حَتَّىٰ تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا، وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ، غَدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**» متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

وهذا محمول على أنه قبل الحجاب.

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَتِ الأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ، قَالَ: «**لاَ**»، فَقَالُوا: تَكْفُونَا المَؤُنَةَ، وَنَشْرَكْكُمْ فِي الثَّمَرَةِ، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا. رواه البخاري.

والمراد أن المهاجرين يقومون بخدمة الأرض من سقي، ورعاية، وغير ذلك، ويكونوا شركاء في الثمر بأن يكون لهم ربع المحصول أو الثلث.

٣- وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الأَنْصَارَ لِيُقْطِعَ لَهُمْ بِالْبَحْرَيْنِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ فَعَلْتَ فَاكْتُبْ لِإِخْوَانِنَا مِنْ قُرَيْشٍ بِمِثْلِهَا، فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي**» رواه البخاري.

✓ وهذه القصص وغيرها مما ورد مما جرىٰ بين المهاجرين والأنصار إنما هي أمثلة وصلت إلينا، وهي تدل علىٰ أن ثمةَ أمثلة كثيرة حصلت، ولم تنقل إلينا فيها إحسان الأنصار إلىٰ المهاجرين فرضي الله عنهم جميعًا المهاجرين والأنصار وجمعنا بهم في دار الكرامة، والحمد لله رب العالمين.

✓ قال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التغابن:١٦].

أمر الله عباده المؤمنين أن يبذلوا جهودهم في طاعته فلم يأمرهم بما فوق طاقتهم، وليس لهم أن يدَعوا شيئًا من وُسْعِهم، وطاقتهم في مجاهدة أنفسهم علىٰ طاعته، ثم أمرهم بالسمع والطاعة.

وهذا تأكيدٌ للأمر بالتقوىٰ قدر الاستطاعة، ثم أمرهم بالنفقة الواجبة والمستحبة في شتىٰ وجوه الخير فيدخل في ذلك نفقتهم علىٰ أنفسهم، وأهليهم، وأولادهم وآبائهم، وأمهاتهم، وأرحامهم، وجيرانهم، وفقراء المسلمين، وفي الجهاد في سبيل الله، والدعوة إلىٰ الله، وبناء المساجد وغير ذلك مما هو في مقدور المسلم، ولا يقدر علىٰ ذلك إلا من كانت نفسه طامعة في الأجر العظيم الذي تقدم

ذكره في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [التغابن:١٥]، فتخلَّصَ من حرص نفسه، وبخلها، وشحها طمعًا فيما عند الله من الأجر العظيم، والثواب الجزيل، ومن فعل ذلك فقد نال المطلوب، وأمن من المرهوب، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التغابن:١٦].

✓ عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الشُّحُّ أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ، فَقَطَعُوا أَرْحَامَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ، فَفَجَرُوا وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهَّ وَأَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**أَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ فَأَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَهْجُرَ مَا كَرِهَ رَبُّكَ**» قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الْهِجْرَةُ هِجْرَتَانِ: هِجْرَةُ الْحَاضِرِ، وَهِجْرَةُ الْبَادِي، أَمَّا الْبَادِي، فَيُجِيبُ إِذَا دُعِيَ، وَيُطِيعُ إِذَا أُمِرَ، وأَمَّا الْحَاضِرُ فَهُوَ أَعْظَمُهُمَا بَلِيَّةً وَأَعْظَمُهُمَا أَجْرًا**» رواه أحمد وصححه الألباني والوادعي رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

✓ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ العَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَيُّمَ هُوَ؟ قَالَ: «**القَتْلُ القَتْلُ**» متفق عليه.

خلاصة في الشح

الخلاصة:

١- الشح من أعمال القلوب، وأثره على اللسان والجوارح، وليس بخلًا فقط

فما البخل، إلا جزء من أجزائه، ولهذا قال في حديث عبد الله بن عمرو المتقدم: أمرهم ـ أي: الشح بالبخل فبخلوا.

٢- الشحيح حريص على بقاء ما في يده، وحريص على أخذه ما في أيدي الآخرين فهو مانع من إعطاء ما أوجب الله عليه آخذ ما حرم الله عليه أخذه من أموال الناس.

٣- الشح إذا دخل القلب أفسده وشوهه وصيره قبيحًا.

٤- الشحيح سيء الظن بالله؛ لأنه لو حسن ظنه بالله لعلم أنه لن يفوته من زرقه شيء كما جاء في حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَسْتَبْطِئُوا الرِّزْقَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَمُوتَ الْعَبْدُ حَتَّى يَبْلُغَهُ آخِرُ رِزْقٍ هُوَ لَهُ، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ: أَخَذِ الْحَلَالِ، وَتَرَكِ الْحَرَامِ**» رواه ابن حبان والحاكم وصححه الوادعي والألباني.

٥- ـ الشحيح لا يحب الناس ولا يحب الخير لهم.

٦- الشحيح لا يؤدي ما أوجب الله عليه فضلًا عن أن يبذل مستحبًا أو أن يؤثر على نفسه.

٧- الشحيح مستعد أن يقطع علاقة أي شخص إذا كان يقف أمام مصالحه، ولو كانوا من ذوي الأرحام كما تقدم في حديث ابن عمر: «**أمرهم بالقطيعة فقطعوا**».

٨- الشحيح مستعد أن يمدح من لا يستحق المدح، ويذم من لا يستحق الذم

إن كانت مصالحة لا تتحقق إلا بذلك.

٩- الشحيح مستعد أن يهيئ نفسه من أجل نيل مصالحه، ولو أهانها عند هينٍ وسيءٍ، ومستعد أن يتنازل عن كرامته، وشهامته من أجل مصالحه.

١٠- الشحيح لو عاقه شخص عن مصلحته رأيته يسب ويشتم ويصرخ ويظهر عليه الفجور في خصومته.

١١- الشحيح لا مانع لديه أن يتصف بصفات المنافقين: «**إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**».

١٢- الشحيح لا يقتصر على ما أحل الله له من الرزق، بل ينتزعه من أيدي الناس حلالًا كان أو حرامًا.

١٣- الشحيح لا يقتصر على أخذ رزقه بالطريقة المباحة، بل ولو بالفجور والقتل والكذب والظلم والربا والسرقة والغش والسحت وغير ذلك.

✓ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ فَقَالَ: «**أَمَا وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّهُ، أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الْفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الْبَقَاءَ، وَلاَ تُمْهِلَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ، قُلْتَ: لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ**» متفق عليه.

❖ قوله: «**وأنت صحيح شحيح**»: قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: الشح أعم من البخل وكأن الشح جنس والبخل نوع، وأكثر ما يقال البخل في أفراد الأمور، والشح عام كالوصف اللازم وما هو من قبل الطبع.

قال: فمعنى الحديث أن الشح غالب في حال الصحة، فإذا شح بها وتصدق

كان أصدق في نيته، وأعظم لأجره بخلاف من أشرف على الموت، وأيس من الحياة ورأى مصير المال لغيره، فإن صدقته حينئذ ناقصة بالنسبة إلى حالة الصحة والشح ورجاء البقاء وخوف الفقر. انتهى بتصرف من معالم السنن.

تم بحمد الله

١٠/ ١١/ ١٤٤٧

دليل الموضوعات

المقدمة ٥

الحديث الأول: حديث: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا» ٦

ترجمة أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٦

شرح الحديث ١١

قوله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا...». ١١

إثبات الرضا في االسنة ١١

قوله ﷺ: «أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا...»، ١٢

خطر الشرك ١٣

قوله ﷺ: «وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا...». ١٦

الاختلاف المذموم ١٨

قوله ﷺ: «وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم». ٢١

قوله ﷺ: «وكره لكم قيل وقال». ٢٣

قوله ﷺ: «وكثرة السؤال» ٢٣

معنى إضاعة المال ٢٥

قوله ﷺ: «وإضاعة المال». ٢٥

الحديث الثاني: حديث: « عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير » ٢٧

ترجمة صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٢٧

شرح الحديث ٣١

الناس أمام ما يصيبهم من أقدار الله أربعة ٣١

الحديث الثالث: حديث: « من سن في الإسلام سنة حسنة » ٤٢

ترجمة جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٤٣

شرح الحديث ٤٧
مناسبة قول النبي ﷺ في آخر الحديث: «من سن في الإسلام...» ٤٩
استدلال أهل البدع بهذا الحديث على فتح باب الاستحسان ٥٠
من دلالات الحديث ٥٣
مثال ما ذكر في الحديث: «من سن في الإسلام» ٥٤
قوله: «من سن في الإسلام سنة سيئة» ٥٤
عقوبة من يعلم الأطفال شرب الخمر ٥٦
الحديث الرابع: حديث: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر» ٥٨
ترجمة عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٥٨
شرح الحديث ٦٤
قوله: «عليكم بالصدق...». ٦٤
اعتياد الشخص على الصدق سبب لقبول كلامه ٦٥
معنى التحري والكتابة الواردين في الحديث ٦٧
مقتطفات من كلام ابن القيم في منزلة الصدق ٦٩
قوله: «إن الكذب يهدي للفجور» ٧٨
من صور الكذب على الله ٨٠
خطر الكذب على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ٨٣
من أسماء الكذب ٨٤
مسألة: متى يكون الصدق حراماً؟ ٨٧
الحديث الخامس: حديث: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة» ٨٨
ترجمة أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٨٨
قصة إسلام أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٨٨
سياق آخر لقصة إسلامه ٨٩

شرح الحديث ٩٤
تحريم الإسبال ٩٤
تحريم المَنّ ٩٦
قوله: «وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ» ٩٧
الحديث السادس: حديث: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب» ١٠٠
شرح الحديث ١٠٠
الحديث القدسي والفرق بينه وبين القرآن ١٠٠
قوله: «من عادى لي وليًا» ١٠١
تفسير الوليّ ١٠٢
الاعتقادات الفاسدة في الوليّ ١٠٣
فضل الفرائض ووجوب تقديمها على النوافل ١٠٥
بيان فضل النوافل وأنها من أسباب محبة الله للعبد ١٠٦
من كرامة الله للولي أنه مستجاب الدعاء ١٠٧
فائدة ١٠٨
من كرامة الله للولي أن الله يعيذه إذا استعاذ به ١٠٨
من كرامة الله للمؤمن أن الله يكره مساءته ١٠٩
الحديث السابع: حديث: «لعلك ترزق به» ١١٠
ترجمة أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١١٠
شرح الحديث ١١٢
حاجة طالب العلم وغيره إلى التوكل على الله ١١٤
طلب العلم من أسباب جلب الرزق ١١٥
الحديث الثامن: حديث: «اللهم أسلمت نفسي إليك» ١١٦
ترجمة البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١١٦

شرح الحديث ١١٧
استحباب الوضوء عند النوم وبيان فضله ١١٨
استحباب الاضطجاع على الشق الأيمن عند النوم ١١٩
قوله: «أسلمت وجهي» ١١٩
قوله: «أسلمت نفسي إليك» ١٢٠
قوله: «ألجأت ظهري إليك» ١٢١
قوله: «لا ملجأ ومنجا منك إلا إليك» ١٢٢
قوله: «آمنت بكتابك الذي أنزلت» ١٢٣
قوله: «ونبيك الي أرسلت» ١٢٤
قوله: «فإن مِتَّ من ليلتك مِتَّ على الفطرة» ١٢٤
قوله: «واجعلهن آخر ما تقول» ١٢٤
قول البراء: قلت: أستذكرهن، «وبرسولك الذي أرسلت»، ١٢٥
الحديث التاسع: حديث: «قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك» ١٢٦
ترجمة سفيان بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١٢٦
شرح الحديث ١٢٦
قوله: «قل: آمنت بالله ثم استقم» ١٢٧
قوله: «ثم استقم» ١٢٨
ومن وقع في الشرك بالله ليس مؤمنًا، ولا مستقيمًا ١٣٣
الناس في أمور العقيدة، طرفان ووسط: ١٣٣
من خالف الاستقامة وقع في الطغيان ١٣٤
اقتران الاستقامة بالاستغفار ١٣٥
الاستقامة على دين الله أعلى المقامات ١٣٦
من المعينات على الاستقامة ١٣٦

الحديث العاشر: حديث: «من نفس عن مؤمن كربة» ١٣٧

شرح الحديث ١٣٧

قضاء حوائج المسلمين خير وعمل صالح ١٣٧

أحاديث في قضاء حوائج المسلمين ١٣٨

الجزاء من جنس العمل وفضل قضاء الحاجات ١٤٢

تنبيه: لماذا لم يقل في الحديث نفس الله عنه كربة من كرب الدنيا والآخرة ١٤٤

ويدخل في تفريج الكرب: الفتاوى العلمية ١٤٥

قوله: «من يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة» ١٤٥

مسألة: هل يجوز لمن له حق على شخصٍ معسرٍ وفيٍّ صادقٍ، أن يشد عليه، ويلزمه بالسداد، وأن يرفع أمره إلى القاضي ليقضيه حقه؟ ١٤٨

قوله: «من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة» ١٤٩

مسألة في ستر المجرم ١٥١

قوله: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». ١٥٢

مما ورد في فضل التعاون عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ما يلي: ١٥٣

قوله: «ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الجنة». ١٥٤

قوله: «سهل الله له بها طريقًا إلى الجنة». ١٥٤

قوله: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله» ١٥٦

قوله: «غشيتهم الرحمة» ١٥٨

قوله: «وحفتهم الملائكة» ١٥٨

قوله: «وذكرهم الله فيمن عنده» ١٥٨

قوله: «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» ١٦٠

الحديث الحادي عشر: حديث: «اتقوا الظلم» ١٦٨

ترجمةُ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١٦٨

شرح الحديث ١٧٢
من صور الظلم ١٧٣
من مفاسد الظلم ١٧٤
قوله : «ظلمات يوم القيامة» ١٧٥
قوله : «إياكم والشح» ١٧٦
نظرة في أدلة الشح ١٧٦
أمثلة تبين أن الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد وقاهم الله شح أنفسهم ١٧٩
خلاصة في الشح ١٨١
دليل الموضوعات ١٨٥

دار الحديث في مفرق حبيش

اليمن - إب